

تَفْسِيرُ

سُورَةِ الْفَاتِحَةِ



تفسير كل آية بجملة (١)

﴿١﴾ - تبتدىء باسم الله الذي لا معبود بحق سواه، والمتّصف بكلّ كال، المنزّه عن كلّ نقص، وهو الرحمن الرحيم صاحب الرحمة. والرحمة هي الرقة والعطف. والرحمن أبلغ من الرحيم وهو لا يطلق إلا على الله تعالى، الذي يفيض بالتّعم جليلها ودقيقها، عامها وخاصها، وهو المتّصف بصفة الرحمة الدائمة.

- الثناء الجميل بكلّ أنواعه وعلى كلّ حال لله وحده، ونُثني عليه الثناء كلّهُ لأنّه منشئ المخلوقات والقائم عليها.

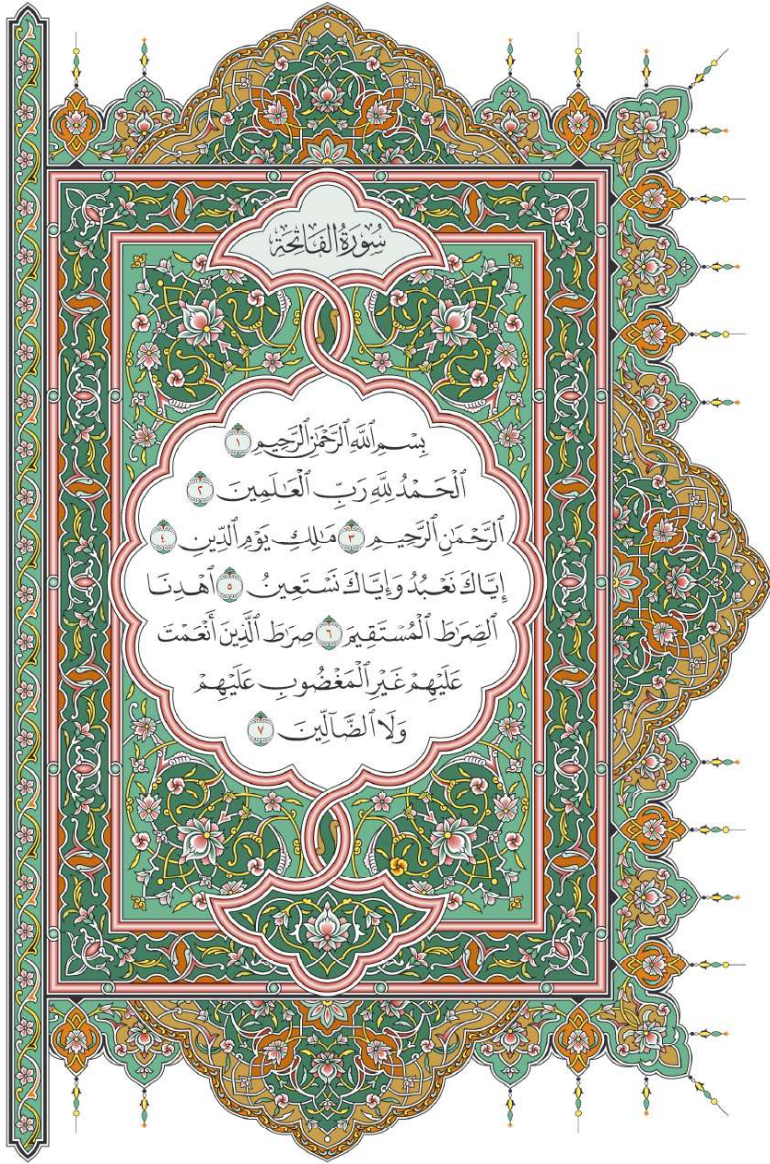
- وهو صاحب الرحمة الدائمة ومصدرها، ﴿٢﴾ ينعم بكلّ التّعم صغيرها وكبيرها.

﴿٤﴾ - وهو وحده المالك ليوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة، يتصرّف فيه تصرّف المالك في ملكه، لا يشاركه أحد في التّصرف ولو في الظاهر.

﴿٥﴾ - لا نعبد إلا إياك فنخصّك بالعبادة، ولا نطلب المعونة إلا منك.

﴿٦﴾ - نسألك أن ترشدنا وتوفّقنا إلى طريق الحق والخير والسعادة.

﴿٧﴾ - وهو طريق عبادك المعتدل، الذين وقّعتهم إلى الإيمان بك، ووهبت لهم نعمتي الهداية والرضا، لا طريق الذين استحقّوا غضبك وضلّوا عن طريق الحق والخير، لأنّهم أعرضوا عن الإيمان بك والإذعان لهديك.



«الباء» في «بسم الله» حرف تضمين؛ أي بالله ظهرت الحادثات، وبه وُجدت المخلوقات، فما من حادث مخلوق، وحاصل منسوق، من عين وأثر وغبر، وغير من حجر ومدر، ونجم وشجر، ورسم وطلل، وحكم وعلل، إلا بالحق وجوده، والحق مَلِكُه، ومن الحق بدؤه، وإلى الحق عَوْدُه، فبه وَجَدَ من وَحْد، وبه جحد من أَلحد، وبه عرف من اعترف، وبه تَخَلَّف من اقترف.

وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ولم يقل بالله على وجه التبرُّك بذكر اسمه عند قوم، وللفَرْق بين هذا وبين القَسَم عند الآخرين، ولأنَّ الاسم هو المسمَّى عند العلماء، ولاستصفاء القلوب من العلائق ولاستخلاص الأسرار عن العوائق عند أهل العرفان، ليكون ورود قوله: «اللَّهُ» على قلبٍ مُنقًى وسرٍّ مُصقًى. وقوم عند ذكر هذه الآية، يتذكَّرون من الباء (بَرّه) بأوليائه ومن السّين سرّه مع أصفیائه، وفي الميم مِنته على أهل ولايته، فيعلمون أنّهم ببرّه عرفوا سرّه، وبمنتته عليهم حفظوا أمره، وبه سبحانه وتعالى عرفوا قدره. وقوم عند سماع ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ تذكّروا بالباء براءة الله سبحانه وتعالى من كلّ سوء، وبالسّين: سلامته سبحانه عن كلّ عيب، وبالميم مجده سبحانه بعزّ وصفه، وآخرون يذكرون عند الباء: بهاءه، وعند السّين: سناءه، وعند الميم: ملكه، فأمّا أبعاد الله سبحانه وتعالى هذه الآية أعني ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في كلّ سورة، وثبت أنّها منها، أردنا أن نذكر في كلّ سورة من إشارات هذه الآية كلمات غير مكرّرة، وإشارات غير معادة، فلذلك نستقصي القول ها هنا وبه الثّقة»^(١).

أسباب النزول والمناسبة

هي سورة مكيّة، أي نزلت في مكّة المكرمة قبل الهجرة، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو العالية رضي الله عنه، وقيل: مدنيّة، قاله أبو هريرة ومجاهد، وعطاء بن يسار، والزّهري رضي الله عنه، ويقال: نزلت مرّتين، مرّة بمكّة، ومرّة بالمدينة، والأوّل أشبه. وهي سبع آيات بلا خلاف، نزلت بعد سورة المدثر.

المعنى العام

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ ﴿فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أِبْدَأَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَوْلِ (بِسْمِ اللَّهِ)، حَيْثُ يَشْرَعُ ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ قَبْلَ أَيِّ عَمَلٍ أَوْ قَوْلٍ، تَبَرُّكًا وَتَيْمُّنًا وَاسْتِعَانَةً عَلَى الْإِتِمَامِ وَالتَّقَبُّلِ.

«اللَّهُ» عَلَّمَ عَلَى الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ، يَقَالُ: إِنَّهُ الْاسْمُ الْأَعْظَمُ لِأَنَّهُ يَوْصَفُ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ، كَمَا قَالَتْ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦)، فَاجْرَى الْأَسْمَاءُ الْبَاقِيَةَ كُلَّهَا صِفَاتٍ لَهُ، كَمَا قَالَتْ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٧)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا

(١) ذكره القشيري في لطائف الإشارات، باب: سورة الفاتحة، الآية: ١، ج ١، ص ٤٤.

(٢) سورة الحشر الآيات: ٢٢-٢٤.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ^(١). فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٢) أَحْصَاهَا أَي حَفَظَهَا وَفَهَمَهَا وَعَمِلَ بِمَقْتَضَاهَا وَدَعَا بِهَا.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرَّحْمَنُ أَشَدُّ مِبالغة من الرَّحِيمِ، والدليل على أنه مشتق ما روي عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحْمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّئُهُ» ^(٣) وهذا نص في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشتقاق. وإنكار العرب لاسم الرَّحْمَن لجهلهم بالله ومما وجب له، والرَّحْمَنُ اسم عام في جميع أنواع الرحمة للمخلوقات يختص به الله تعالى، والرَّحِيمُ رحمته تتعلق بالمؤمنين، قال الله تعالى: «وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» ^(٤)، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة.

واسمه تعالى الرَّحْمَنُ خاص له لا يجوز أن يُسَمَّى به غيره، ألا تراه يقول: «قُلْ اادْعُوا اللَّهَ أَوْ اادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» ^(٥)، فعادل بين اسمه الرَّحْمَن واسمه الذي لا يشاركه فيه غيره أي الله، وقال: «وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» ^(٦)، فأخبر أنَّ الرَّحْمَنَ هو المستحق للعبادة. ولما اجترأ مسيئة الكذاب وتسمى برحمن اليامة، كساه الله جلباب الكذب واشتهر به، فلا يقال إلا: مسيئة الكذاب، فصار يُضْرَبُ به المثل في الكذب بين أهل الحضرة وأهل البور. وأما الرَّحِيمُ فإنه تعالى وصف به غيره حيث قال: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» ^(٧)، وَقِيلَ: إِنَّ مِنْ مَعَانِي الرَّحِيمِ أَيُّ بِالرَّحِيمِ وَصَلَّمَ إِلَى اللَّهِ، فَ: الرَّحِيمُ نَعْتُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذا نعتته تعالى بذلك فقال: «رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» فَكَانَ الْمَعْنَى أَنَّ يَقُولُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّيْتُ إِلَيْهِ، أَيُّ بِاتِّبَاعِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَصَلَّيْتُ إِلَى ثَوَابِي وَكَرَامَتِي وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ، كما وصف غيره بذلك من أسبائه، فقال: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» ^(٨) والله أعلم ^(٩).

وقوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أي الشكر لله خالصًا دون سائر ما يُعْبَدُ من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تمكينه للمكلفين من أداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من نعم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، فكل ذلك من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في التعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولًا وآخرًا.

كما أنَّ لفظ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ثناء أثنى به الله تعالى على نفسه، وضمته أمرًا لعباده أن يثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا الحمد لله، والألف واللام في «الْحَمْدُ» لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى؛ فعن جابر بن عبد الله قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» ^(١٠)

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: إنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا، حديث رقم ٧٣٩٣.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب: البر والصلة، باب: أمَّا حديث عبد الرحمن بن عوف، حديث رقم: ٧٣٦٨، وهو صحيح.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣. (٥) سورة الإسراء، الآية: ١١٠. (٦) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٨. (٨) سورة الإنسان، الآية: ٢.

(٩) انظر القرطبي في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، الآية: ١، ج ١، ص ١٠٤-١٠٦، بتصرف.

(١٠) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب وباب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، حديث رقم: ١٨٣٤، وإسناده صحيح.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، «الرب» هو: المالك المتصرف في ملكه، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى. ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة، تقول: رب الدار، ورب العمل، وأما: «الرب»، فلا يقال إلا لله.

و: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع «عالم»، وهو: كل موجود سوى الله ﷻ، و«العالم»، جمع لا واحد له من لفظه، و: «العوالم»، أصناف المخلوقات في السموات، وفي البر والبحر.

عن ابن عباس رضي الله عنه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ، السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، مِمَّا يُعْلَمُ وَلَا يُعْلَمُ»، وفي رواية سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عباس: «رب الجن والإنس»^(١).

وقال الزجاج: العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة. و«العالم» مشتق من العلامة، لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته ﷻ^(٢).

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، تقدم الكلام عليه في البسملة، فقد وصف نفسه تعالى بعد ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، بأنه: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، لأنه لما كان من اتصافه بـ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تزهيب قرنه بـ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: لِمَا تَضَمَّنَ مِنَ التَّزْهِيبِ. ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع، كما قال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمِ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^(٣)، فلفظ «الرب» فيه تزهيب، ولفظ «الرحمن الرحيم» ترغيب؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرُّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قرأ بعض القراء: «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ»، وقرأ آخرون: «مَالِكِ» وكلاهما صحيح متواتر في السبع، فهو سبحانه المالك الذي يملك، وهو الملك الذي يحكم بما يملك سبحانه وتعالى، وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين، لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه سبحانه وتعالى. عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول: لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكماً كملكم في الدنيا، ثم قال: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٥). فأخبر تعالى أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين تحولوا يوم الدين من ملكهم إلى الذلة والصغار. فيوم الدين هو يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة يدينهم فيه بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه^(٦).

ف«الملك» في الحقيقة هو الله ﷻ، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾^(٧)، وعن أبي

(١) انظر الطبري في تفسيره، باب: القول في تأويل قوله تعالى: العالمين، (١٤٥/١)، بتصرف.

(٢) انظر ابن كثير في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٤، (٤٦/١)، بتصرف.

(٣) سورة الجبر، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٤، (١٣٩/١).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: باب: في سعة رحمة الله، حديث رقم: ٢٧٥٥.

(٦) سورة النبأ، الآية: ٣٨.

(٧) انظر الطبري في تفسيره، باب: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، (١٥٠/١)، بتصرف.

(٨) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ»^(١) و«الَّذِينَ»: الجزء والحساب، كما قال تعالى: «يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ»^(٢) وقال: «أَيْنَا لَمَدِينُونَ»^(٣) أي: مخزيتون محاسبون. وفي الحديث: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»^(٤)، أي حاسب نفسه بنفسه، كما قال عمر رضي الله عنه: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَخَفُّ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ، وَتُزَنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ، «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»^(٥)»^(٦).

وقوله ﷺ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥

«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» «العبادة» في اللغة: الخضوع للإله على وجه التعظيم، ومن معانيها الذلة، يقال: طريق معبد وبعبير معبد، أي: مذل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كال المحبة والخضوع والخوف. وقُدِّمَ المفعول وهو «إِيَّاكَ» وكُرِّرَ للاهتمام والحصر، أي لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كال الطاعة. قال بعض السلف: «الفتاحه سر القرآن، وسرها هذه الكلمة «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، وفيه التفويض إلى الله ﷻ.

لذا يقول تعالى، تميماً لتعليم عباده: إذا أنشئتم عليّ ومجدتموني وعظمتوني فأقروا لي بالربوبية، وأظهروا من أنفسكم العبودية، واطلبوا منّي العون في كلّ وقت وقولوا: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، وكأنّه ﷻ لما ذكر أنّه مستحقّ للمحامد كلّها قديمها وحديثها؛ لأنّه ربّ العوالم وقيومها، أصل الأصول وفروعها، أنعم عليها أولاً بالإيجاد، وثانياً بتوالي الإمداد، فهو مالكها على الإطلاق، إنّه لا يستحقّ أن يعبد سواه، إذ لا منعم على الحقيقة إلّا الله، فهو أحقّ أن يُعبد، وأولى أن يُفرد بالوجهة والقصد^(٧).

وهنا نرى أنّ الكلام تحوّل من صيغة الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، وهذا مناسب، لأنّه لما أثنى العبد على الله، فكأنّه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى، ولهذا قال: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، وفي هذا دليل على أنّ أوّل السورة خبرٌ من الله تعالى بالثناء على ذاته الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشادٌ لعباده بأنّ يثنوا عليه بذلك، ولهذا لا تصحّ صلاةٌ من لم يقلّ ذلك وهو قادر عليه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أنّه قال في قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» يَعْنِي: إِيَّاكَ نُوحِدُ وَنَحْفُ وَنَرْجُو يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» عَلَى طَاعَتِكَ وَعَلَى أُمُورِنَا كُلِّهَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أَمْرِكُمْ. وَإِنَّمَا قَدَّمَ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» عَلَى «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ هِيَ الْمُفْصُودَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا، وَالِاهْتِمَامُ وَالْحَزْمُ هُوَ أَنْ يَقْدَّمَ مَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ.

فالعبادة مقام عظيم يَشْرَفُ به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى. وقد سمى الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعبدّه في أشرف مقاماته،

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، حديث رقم: ٦٥١٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٥٣.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک، عن شدّاد بن أوس، كتاب: الإيمان، باب: وأمّا حديث سمرة بن جندب، حديث رقم: ١٩١، وهو صحيح.

(٥) سورة الحاقة، الآية: ١٨.

(٦) أخرجه ابن كثير في مسند الفاروق، عن ثابت بن الحجاج، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الحاقة، حديث رقم: ٨٨٨، الأثر مشهور وفيه انقطاع.

(٧) ذكره ابن عجيبة في البحر المديد، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٥، (٦٠/١).

فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾^(١)، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾^(٢)، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(٣)، فسمّاه عبداً عند إنزاله عليه، وعند قيامه في الدّعوة، وإسرائه به، وأرشدته إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين، حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ* وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٤).

ولمّا تقدّم الثّناء على المسؤول، تبارك وتعالى، ناسب أن يعقّب بالطلب والسؤال، وهذا أكمل أحوال السائل، أن يمدح مسؤوله ثم يسأله حاجته وحاجته إخوانه المؤمنين، بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، لأنّه أدعى للإجابة، ولهذا أرشدنا تعالى إليه لأنّه الأكمل^(٥). ﴿اهْدِنَا﴾ والهداية هنا: الإرشاد والتوفيق، أي أرشدنا وألهمنا ووفقنا إلى الطريق المستقيم، الموصلة إلى حضرة التّعيم، والطريق المستقيم هو السير على الشريعة المحمّدية في الظاهر، والتّبرؤ من الحول والقوة في الباطن، أو تقول: هو أن يكون ظاهرك شريعة وباطنك حقيقة، فالفرق على ظاهرك موجود والجمع في باطنك مشهود، وفي الحكم: «متى جعلك في الظاهر ممثلاً لأمره وفي الباطن مستسلماً لقهره، فقد أعظم المنّة عليك»^{(٦)(٧)}. والصراط المستقيم هو: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وذلك في لغة جميع العرب.

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير «الصراط»، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد وهو المتابعة لله تعالى وللرسول ﷺ، فزوي: أنّه كتاب الله، وقيل هو الإسلام، وهو أوسع ممّا بين السماء والأرض. وقيل: هو دين الله الذي لا عوج له ولا يقبل من العباد غيره. وفي معناه، حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ، صاحب النبي ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلَى كَنَفِي الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَتٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُزَخَّجٌ، وَعَلَى الصِّرَاطِ دَاعٍ يَدْعُو يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْلُكُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَغْوُجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَتِلْكَ لَا تَفْتَحُهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحُهُ تَلْبِجُهُ، فَالْصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ، وَالسُّتُورُ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ مُحَارِمُ اللَّهِ، وَالْدَّاعِي الَّذِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالْدَّاعِي مِنْ فَوْقٍ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»^(٨). وعن مجاهد: «﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾» قال: الحق، وهذا أشمل، ولا منافاة بينه وبين ما تقدّم.

وعن أبي العالية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال: «هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»^(٩). والحديثان الشريفان: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا إِنْ اتَّبَعْتُمُوهُمَا، وهما: كتاب الله، وأهل بيتي عترتي»، وفي رواية: «﴿كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّتِي﴾». يفيدان الحثّ على التمسك بالكتاب، واتباع النبي ﷺ وسنّته، وبالعلماء وأهل البيت الكرام من بعده، وهو عين اتباع الصراط المستقيم. وكلّ هذه الأقوال متلازمة، فإنّ من اتّبع رسول الله ﷺ، واقتدى من بعده بآل بيته وبالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم فقد اتّبع الحق، ومن اتّبع الحق فقد اتّبع الإسلام، ومن اتّبع

(١) سورة الكهف، الآية: ١.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٤) سورة الحجر، الآيات: ٩٧-٩٩.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: الفاتحة، الآية: ٥، (٥٠-٤٩/١)، بتصرّف.

(٦) الحكم العطائية، لعطاء الله السكندري، الحكمة رقم ١٠٧.

(٧) ذكره ابن عجيبة في البحر المديد، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٦، (٦٢/١).

(٨) رواه الحاكم في المستدرک، عن النّوّاس بن سمعان، حديث رقم: ٢٤٥، كتاب: الإيمان، باب: وأما حديث أشعث بن جابر، وهو صحيح.

(٩) ذكره الطبري في تفسيره، باب: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾، (١٧٣/١-١٧٥)، بتصرّف.

الإسلام فقد اتبع القرآن، الذي هو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكُلُّها صحيحة يُصَدِّقُ بعضها بعضاً والله الحمد^(١). والخلاصة أنَّ الصُّراطَ المستقيمَ الذي أمرنا الحقُّ بطلبه هو الجمع بين الشريعة والحقيقة، والمفهوم من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولذلك وصله به، فكأنَّ الحقَّ ﷻ يقول: يا عبادي احمِدُونِي ومَجِّدُونِي وأَفْرِدُونِي بالقصد وخصَّوْنِي بالعبادة، وكونوا في ظاهرهم مشغولين بعبادتي، وفي باطنكم مستعِينين بحولي وقوتي، أو كونوا في ظاهرهم متأدِّبين بخدمتي، وفي باطنكم مشاهدين لقدرتي وعظمة ربوبيتي.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾

وقوله ﷻ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي اهدنا لاتباع طريقة حياة الذين هم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسوله، وامتنال أوامره، وترك نواهيه وزواجره، وهو مفسر للمقصود بالصراط المستقيم، فيقول الحق ﷻ في تفسير الطريق المستقيم: هو طريق الذين أنعم الله عليهم بالهداية والاستقامة، والمعرفة العامة والخاصة، من التبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢). والمنعم عليهم في الآية مطلق، يصدق على كل منعم عليه بالمعرفة والاستقامة في دينه، كالصحابة وأمثالهم. وقيل: المراد بهم أصحاب سيدنا موسى ﷺ قبل التحريف، وقيل: أصحاب سيدنا عيسى ﷺ قبل التغيير. والتحقيق أنه عام^(٣).

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: هم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحق ولكن عدلوا عنه كاليهود الذين حَرَفُوا وغيَّروا و﴿الضَّالِّينَ﴾: هم الذين ضيَّعوا العلم، فأصبحوا هائمين في الضلالة لا يهتدون إلى الحق كالتصارى الذين ضَلُّوا عن طريق التبيين والمنهج الرباني.

وأكد الكلام بـ«لا» في قوله «وَلَا الضَّالِّينَ» ليدلَّ على وجود مسلكين فاسدين: وهما صراط اليهود والتصارى. فإنَّ صراط أهل الإيمان مشتمل على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والتصارى فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب على اليهود والضلال للتصارى، فأخصَّ أوصاف اليهود الغضب، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾^(٤)، وأخصَّ أوصاف التصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٥). وبهذا جاءت الأحاديث والآثار، فعن عدي بن حاتم قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ أو، قال: رُسُلُ رسول الله ﷺ، وأنا بعُفْرِب، فأخذوا عمتي وناساً، قال: فلمَّا أتوا بهم رسول الله ﷺ قال: فصفوا له. قالت: يا رسول الله، نأى الوافد، وانقطع الولد، وأنا عجوزٌ كبيرة، ما بي من خدمة، فمن علي، من الله عليك. قال: «مَنْ وَافِدُكَ؟» قالت: عدي بن حاتم. قال: «الَّذِي فَرَّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟». قالت: فمن علي. قالت: فلمَّا رجعَ وَرَجُلٌ إلى جنبه نرى أنه علي، قال: «(سَليهِ جَلَانًا)». قال: فسألته، فأمر لها. قالت: فأتاني، فقالت: لقد فعلتَ فعلةً ما كان أبوك يفعلها. قالت: اتيت راعباً أو راعباً، فقد أتاه فلان، فأصاب منه، وأتاه فلان، فأصاب منه. قال: فأتيتُه، فإذا عنده امرأةٌ وصبيان، أو صبي، فذكر قُرْبَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فعرفتُ أنه ليس مُلْكٌ كسرى ولا قيصر، فقال له: «(يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ مَا أَفْرَكَ أَنْ يُقَالَ:

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٦، (٥٢/١)، بتصرف.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) ذكره ابن عجيبة في البحر المديد، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٧، (٦٥/١).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ؟ مَا أَفْرَكَ أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ شَيْءٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: فَاسْأَلْتُ، فَأُرِيتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرًا، وَقَالَ: «إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودَ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى»^(١).

وقد روي تفسير ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باليهود، و﴿الضَّالِّينَ﴾ بالنصارى عن أناس من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابن عباس وابن مسعود وأبو بكر، وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافًا، وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالّون، الحديث المتقدم، وقوله تعالى في خطابه لبني إسرائيل: ﴿يُسَمَّا اشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٢).

ويستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها: «آمين» مثل «يس»، ويقال «أمين» بالقصر أيضًا، قال الجوهري: معنى أمين؛ كذلك فليكن. وقال الترمذي: معناه لا تحب رجاءنا. وقال الأكثرون: معناه اللهم استجب لهم. والدليل على استحباب التأمين: ما روي عن وائل بن مجر رضي الله عنه، قال: صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَأَمَّا قَالَ: «وَلَا الضَّالِّينَ»، قَالَ: "أَمِينَ" مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ^(٣).

كما يستحب التأمين لمن هو خارج الصلاة، ويتأكد في حق المصلي، سواء كان منفردًا أو إمامًا أو مأمومًا، وفي جميع الأحوال، لما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤) بمعنى مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ فِي الزَّمَانِ، وقيل: في الإجابة، وقيل: في صفة الإخلاص. عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَظَبْنَا فَبَيْنَ لَنَا سُنَّتَنَا وَعَظَمْنَا صَلَاتَنَا، فَقَالَ: «وَإِذَا قَالَ - أَيِ الْإِمَامِ - ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمْ اللَّهُ»^(٥)».

أَسْمَاءُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ (٧)

يقال لها «الفاتحة» أي فاتحة الكتاب خطأ، وبها تفتتح القراءة في الصلوات، ويقال لها أيضًا: «أُمُّ الْكِتَابِ» عند الجمهور، ويقال لها: «أُمُّ الْقُرْآنِ» فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي»^(٦).

ويقال لها: «الحمد»، ويقال لها: «الصلاة»، لقوله رضي الله عنه رواية عن ربه: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَسْبُ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتَيْتُ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾، قَالَ: حَسْبُ عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا

(١) رواه أحمد في مسنده، عن عدي بن حاتم، مسند: الكوفيين، مسند: بقية حديث عدي ابن حاتم، حديث رقم: ١٩٣٨١، وبعضه صحيح.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٠.

(٣) رواه الدارقطني في سننه، عن وائل حجر، كتاب: الصلاة، باب: التأمين في الصلاة بعد فاتحة الكتاب، حديث رقم: ١٢٧١، وإسناده صحيح.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الأذان، باب: جهر الإمام بالتأمين، حديث رقم: ٧٨٠.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي موسى، حديث رقم: ٤٠٤، كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة.

(٦) انظر، ابن كثير في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٧، (٥٨-٥٦/١)، بتصرف.

(٧) قال السيوطي في «الإتقان»: وقد وقفت على نيف وعشرين اسمًا، ثم عدت الأسماء التي ذكرها ابن كثير وزاد عليها.

(٨) رواه أحمد في مسنده، عن أبي هريرة، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٩٧٩٠، وإسناده صحيح.

قَالَ: «إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» ^(١). فَسُمِّيَتِ الْفَاتِحَةُ صَلَاةً لِأَنَّهَا شَرَطَ فِيهَا، وَيُقَالُ لَهَا: «الشَّفَاء»، وَيُقَالُ لَهَا: «الرُّقِيَّة» لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حين رقى بها الرجل اللدغي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ؟»** ^(٢). وروى عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه سَمَّاها «أَسَاسُ الْقُرْآن» قال: وَأَسَاسُهَا «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وَسَمَّاها سَفِيَانُ بْنُ عَيْنَةَ «الْوَاقِيَّة» وَسَمَّاها يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ «الْكَافِيَّة» لِأَنَّهَا تَكْفِي عَمَّا عَدَاها وَلَا يَكْفِي مَا سِوَاهَا عَنْهَا... وَيُقَالُ لَهَا: «سُورَةُ الصَّلَاةِ وَالْكَزْز».

وقال البخاري في أول كتاب التفسير: «وُسِّمَتِ «أُمُّ الْكِتَابِ» لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ» ^(٣)، وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِرَجُوعِ مَعَانِي الْقُرْآنِ كُلِّهَا إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالْعَرَبُ تَسْمِي كُلَّ جَامِعٍ أَمْرًا أَوْ مُقَدِّمًا لِأَمْرٍ إِذَا كَانَتْ لَهُ تَوَابِعُ تَتَّبَعُهُ هُوَ لَهَا إِمَامٌ جَامِعٌ: أُمًّا. قَالَ: وَسُمِّيَتْ مَكَّةَ «أُمُّ الْقُرَى» لِتَقَدُّمِهَا أَمَامَ جَمِيعِ الْقُرَى وَجَمْعِهَا لِمَا سِوَاهَا. وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: «الْفَاتِحَةُ» لِأَنَّهَا تُفْتَتَحُ بِهَا الْقِرَاءَةُ، وَافْتَتَحَتْ الصَّحَابَةُ بِهَا كِتَابَةَ الْمَصْحَفِ الْإِمَامِ. وَصَحَّ تَسْمِيَتُهَا بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي، قَالُوا: لِأَنَّهَا تُتَنَّى فِي الصَّلَاةِ فَتُقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنْ كَانَ لِلْمَثَانِي مَعْنَى آخَرَ غَيْرَ هَذَا» ^(٤).

● فضل سورة الفاتحة

وردت أحاديث نبوية كثيرة في فضائل سورة الفاتحة وجليل قدرها. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: **«وَقَرَأْ عَلَيْهِ أَبِي أُمُّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزُّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيََتْ)»** ^(٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي، قَالَ: «أَلَمْ يُقُلِّ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟»، ثُمَّ قَالَ: **«أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ»**، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: **«لَأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ»** قَالَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»** ^(٦).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، «أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم انْطَلَقُوا فِي سَفَرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمْ، فَلَدَغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْنَاهُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لَدَغَ، فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَاحُواهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَأَنْطَلَقَ فَجَعَلَ يَشْفُلُ وَيَقْرَأُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى لَكَأَنَّما نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَأَنْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلْبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَاحُواهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث رقم: ٣٩٥.

(٢) سيأتي الحديث بتمامه في «فضل سورة الفاتحة».

(٣) ذكره البخاري في صحيحه، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، (١٧/٦).

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، (١٨/١)، بتصرف.

(٥) رواه أحمد في مسنده، عن أبي هريرة، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨١٨٢، وإسناده صحيح.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد بن المولى، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل فاتحة الكتاب، حديث رقم: ٥٠٠٦.

بَعْضُهُمْ: أَقْسَمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَفَى: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا يَذْكُرُكُمْ أَنْهَا زُفِيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، أَقْسَمُوا وَاصْرُبُوا لِي مَعَكُمْ بِسْمِهِ»^(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا جَبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِصًا^(٢) مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يَفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَزَلَّ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِرْ بَنُورَيْنِ أَوْتِيَهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»^(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خَدَاجٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ». فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(٤)، وخداج أي ناقصة.

س فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متّصف بذلك يقول: اهدنا وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أو لا؟

ج لا يكون هذا تحصيل حاصل لأن المؤمن لولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، فإنّ العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى، في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها، وتبصّره وازدياده منها واستمراره عليها، فإنّ العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت، وأن يمدّه بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله، فإنّه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٥)، فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل، لأنّ المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك والله أعلم. فمعنى قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ استمر بنا عليه، ولا تعدل بنا إلى غيره.

استحضار وتدبر معاني سورة الفاتحة في الصلاة

سورة الفاتحة أعظم السور القرآنية التي جاءت في المصحف الشريف، وهي أم الكتاب لقول النبي ﷺ: «قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»^(٦). وذلك لأنها افتتحت بها المصحف، وهي السورة الأولى من حيث ترتيب سور القرآن الكريم. وهي تنقسم في أسلوبها العام إلى قسمين أساسيين: **أولهما:** الثناء على الله تعالى. **وثانيهما:** الدعاء لله تعالى.

ولعظمة مكانتها جعلت ركنًا أساسيًا من أركان الصلاة، فلا تصح الصلاة إلا بقراءتها. قال رسول الله ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(٧).

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري، كتاب: الطب، باب: النفث في الرقية، حديث رقم: ٥٧٤٩.

(٢) نقيضًا: المراد صوتًا عاليًا قويًا، وهو الصوت الذي يحدث عند فتح الباب بقو.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن ابن عباس، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، حديث رقم: ٨٠٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث رقم: ٣٩٥.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد بن المَعْلَى، كتاب: تفسير القرآن، سورة الفاتحة، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، حديث رقم: ٤٤٧٤.

نبدأ بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فنقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، ومعناه: ألتجئ إلى الله جلّ في علاه أن يصرف عني وسوسة الشيطان الرجيم.

س لماذا نستعيز بالله تعالى من الشيطان الرجيم قبل القراءة؟

ج نستعيز بالله تعالى من الشيطان الرجيم قبل القراءة حتى لا يكون للشيطان علينا سبيل فيبعدنا عن فهم معاني آيات القرآن الكريم، وكى لا يؤسوس لنا في أثناء القراءة، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١).

فمن يقرأ القرآن الكريم يتأثر به وفق نيته، قال تعالى: ﴿...يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(٢) فمن قرأ القرآن على نيّة الهداية- مهما كان دينه- هداة الله تعالى. ومن قرأ القرآن بلا نيّة الهداية للحق، وإنما بحثاً عما يدعم به فهمه الخاطئ للآيات تبريراً لأهوائه، أو بحثاً عن الفتنة والجدل، عندئذ قد يكون القرآن الكريم سبب ضلاله.

س وكيف يكون سبب ضلاله؟

ج الشيطان يدخل على فهم معانيه، فيفهمه المعاني على نحو خاطئ.

لذا من أراد الهداية بالقرآن الكريم صادقاً، يبدأ قراءته بـ «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»: أي ألتجئ إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعل بيني وبين الشيطان حاجباً يعيذني ويحببني الشيطان عند قراءتي للقرآن، فأفهمه على النحو الذي يحبّه ربّي ويرضاه، ولا يكون للشيطان عليّ سبيل حيث أنّه يؤسوس، لأفهم من القرآن خلاف المعنى الذي يحبّه الله تعالى ويرضاه.

وكّل من قرأ القرآن أو استمع إليه بأذن واعية وقلب صادق مهما كان دينه، سيكون القرآن الكريم سبب هدايته وسبباً في أن تتذكّر روحه ربّها وتعلّقها بخالقها. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٣).

وكذلك نقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» لكي نُطَهِّر ألسنتنا ممّا كان فيها من الكذب، والغيبة، والنميمة، والفُحش من الكلام، وخُلف الوعد، إلى غير ذلك من معاصي اللسان، فلا يُحَسِّن أن نذكر ألسنتنا كلام الله تعالى بعد أن كنّا نتكلّم بأُمور لا تخلو من اللّهُو في الكلام واللّغَط فيه من أُمور الدُّنيا وغيرها من غير كلام الله أو حديث رسول الله ﷺ. لذلك على من يقرأ القرآن ثم يتوقّف ويتكلّم في أمور الدُّنيا، ثم أراد أن يقرأ من جديد، أن يبدأ بالاستعاذة من جديد، إذ لا ينبغي لهذا اللسان الذي تكلم في الدُّنيا أن يباشر بقراءة كلام الله تعالى قبل أن يتطهّر بالاستعاذة، فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يبدأ بقراءة القرآن. وإنّ «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ليست من القرآن الكريم، وإنما أمرنا أن نقولها قبل البدء بالقراءة لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن عبادة بن الصّامت، كتاب: الأذان، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلّها في الحضر والسفر، حديث رقم: ٧٥٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٤) سورة ق، الآية: ٣٧.

شرح معنى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

يبدأ القرآن الكريم بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وهي أوّل آية في القرآن الكريم. وأوّل حرف فيه هو: حرف الباء «والاسم»، بِسْمِ اللَّهِ أي: بالله كان ما كان، وبالله يكون ما يكون. فكل ما تراه في الوجود هو من خلق الله تعالى، بتجلي اسم من أسمائه. فالرزق من تجلي اسم الله الرَّزَّاق، والحياة من تجلي اسم الله المُحْيِي. والموت من تجلي اسم الله المُمِيت، والعز من تجلي اسم الله المُعَزِّ والعزّيز. والدّل من تجلي اسم الله المُدَلِّ، والرّحمة وقضاء الحوائج من تجلي اسم الله الرَّحِيم. وجبر الخواطر من تجلي اسم الله الجبّار، وصلة الرّحم من تجلي اسم الله الرَّحْمَن، والقوّة من تجلي اسم الله القوي والمتانة والنبات من تجلي اسم الله المتين وهكذا، كل ما تراه في الوجود مظهر تجلي اسم من أسمائه سبحانه وتعالى.

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: بسم الله كان ما كان، وبسم الله يكون ما يكون. فما ظهر شيء في الوجود إلّا بتجلي اسم من أسماء الله تعالى. سواء كان هذا الشيء حسيّاً كالشجرة، والبحر، والحيوان، والإنسان، والجنّ، والملائكة، وهذه مخلوقات حسيّة، أو كان معنويّاً كالكرم، والوفاء، والشجاعة، والعزّ، والدّل، أو كان من عالم الخيال، كالرؤى، والمنامات والتخيّلات، وكلّ هذا مظهر تجليات أسمائه تعالى. فالمُلك مثلاً مظهر تجلي اسم الله المالك، والكرم مظهر تجلي اسم الله الكريم، وصفة رب البيت أو رب العمل وكذلك مبدأ التربية من مظاهر تجلي اسم الله الرب، وكل ما كان في الكون إنّما كان بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، فهي التي تفتح الأبواب لكل شيء، لذلك قال النبي ﷺ: «كُلُّ كَلَامٍ لَا يَبْدَأُ فِي أَوَّلِهِ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَهُوَ أَبْتَرٌ»^(١). أي أقطع، ناقص البركة. وقال ﷺ أيضاً: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ»^(٢)، فكل شيء نريد فعله يكون باسم الله، فيسنّ أن نذكر اسم الله على كلّ شيء، خاصّة إذا كان الشيء ذا بال محترم. فعندما تبدأ بكتابة نصّ، عندما تهتم بالإجابة عن أسئلة الامتحان، عندما تريد تشغيل سيّارتك، عندما تفتح باب بيتك أو عملك، أو عندما تبدأ بالأكل أو الشرب تقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فكلّ أمر تريد أن تفعله تبدأ به بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأنّه بِسْمِ اللَّهِ كان ما كان، وببسم الله يكون ما يكون. فنستعين بالله جلّ في علاه، ونسأل الله سبحانه وتعالى الفتح والفهم.

لذلك تبتدئ سور القرآن بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وعندما نقرأ القرآن بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فنحن نريد أن نفهم القرآن بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

أهميّة التّعوذ والبسملة قبل القراءة

إنّ قولنا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم تخلية وتطهير، و﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تخلية وترقية وسموّ. مثال: إذا كنت تريد أن تقرأ شيئاً، ولكن غشاوة أو رمداً يحيط بعينيك، فإنّ قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يكون كالبلسم الذي ينقي عينيك، فهذه هي: (التخلية)، وقولك: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يكون جلاءً لعَيْنَيْكَ ونوراً وبصيرة كي ترى برؤية أوضح، وهذه هي: (التحلية).

معنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قبل كلّ سورة من سور القرآن: نبدأ باسم الله نستعين على قراءة القرآن الكريم، وباسم الله نستعين على فهمه وتطبيقه.

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى، عن الزهري، كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يستحب من الكلام عند الحاجة، حديث رقم: ١٠٢٥٨.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، عن أبي هريرة، باب: ما يبتدئ به المستملي من القول، حديث رقم: ١٢١٠.

القرآن الكريم قرآن مسطور وهناك كتاب منظور.

القرآن المسطور: هو المصحف الذي بين أيدينا، نقرأ فيه آيات الله، وأسماءه، وصفاته وأحكامه والأخلاق الحميدة. والكتاب المنظور: هو الكون الذي خلقه الله تعالى، وأشار إليه في أول آية نزلت من القرآن الكريم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١) فتلاوة كتاب الله المسطور والتدبر والتفكير فيه يوصلك إلى كتابه المنظور وهو التفكير فيما خلق الله من هذه الأكوان.

وكأنه يقول اقرأ باسم ربك الذي خلق الأكوان، وخلق الإنسان، وهو رب كل شيء ومليكه. وقد حثنا النبي الكريم الذي أنزل عليه كلام الله ﷺ على أن نفتتح كل قراءة بالاستعاذة والبسملة وخصوصاً عند قراءة القرآن المسطور، لأن ذلك سيفتح لنا آفاقاً جديدة لقراءة الكتاب المنظور.

● استحضار معنى «الرحمن الرحيم» في البسملة

لكي تُثمر قراءة الفاتحة أثناء الصلاة في قلب المصلي، هناك معانٍ ينبغي استحضارها والتفكير بها، نذكر من تلك المعاني:

المعنى الأول المطلوب استحضاره في الصلاة عند قراءة الفاتحة هو:

معنى «الرحمن»: المتفضل بجلال التعم على جميع المخلوقات: المسلم والكافر، والجاني، والحيوانات، والجمادات.

س ما هي جليل النعم؟

ج النعم العظيمة الجليلة التي لا يمكن أن يأتي بها غير الله تعالى ولا غنى لنا عنها، فهي نعمٌ أساسيةٌ وضروريةٌ. ومن جلائل النعم: الوجود، والصحة، والعافية، والأمن والأمان، والليل والنهار وتعاقبهما، والضوء، وغير ذلك من النعم التي لا تُعد ولا تُحصى. ومن جلائل النعم: فطرة الله التي فطر الناس عليها، العقل، والإيمان والطمأنينة، وسكون القلب - ألا يتغلب عليه وسواس قهري -، ونعمة الوالدين، ونعمة الأولاد، ونعمة السمع والبصر، ونعمة القدرة على الحركة، نعمة القدرة على التنفس، نعمة أن يكون لك بيت يأويك وأن تنام في فراشك آمناً، ونعمة النبي الأكرم قبل كل شيء والتي هي أجل نعمة في الوجود. فجليل النعم أساسياتٌ وضرورياتٌ. إنها النعم التي خلقها الله لنا وجعلنا محتاجين لها.

المعنى الثاني المطلوب استحضاره في الصلاة عند قراءة الفاتحة هو:

معنى «الرحيم»: هو المتفضل على خلقه بدقائق النعم.

س ما هي دقائق النعم؟

ج دقائق النعم هي: النعم الدقيقة أو الكماليات التي يمكننا أن نحيا دون وجودها ولكنها تجمل الحياة. فمثلاً:

- الطعام الذي يُشبع جوعك من جليل النعم، بينما الطعام اللذيذ الشهّي من دقائق النعم.
- الثياب التي تكفي لسترك وتدفئك من البرد من جليل النعم، بينما الثياب الجميلة، والأنيقة من دقائق النعم.
- المكيف والمصعد والسيارة كذلك من دقائق النعم، وهناك الكثير، فهي لا تُعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا

نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١)

﴿الرَّحْمَنُ﴾: هو المتفضِّل بجلال التَّعَم. و﴿الرَّحِيمُ﴾: هو المتفضِّل بدقائق التَّعَم.

والتَّعَم كُلُّهَا حَوَائِجُ لَنَا، وَقَوْلُكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: إقرارٌ بأنَّ هذه التَّعَم كُلُّهَا مِنْهُ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ مَنْ يَقْضِي لَكَ كُلَّ حَوَائِجِكَ الْجَلِيلَةِ الَّتِي لَا غِنَى لَكَ عَنْهَا، والدَّيْقَةُ الَّتِي تَجْعَلُ حَيَاتَكَ أَجْمَلَ وَأَسْهَلَ. فالحَوَائِجُ مِنْهَا مَا لَا غِنَى لَنَا عَنْهُ، مِثْلُ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ، وَالصَّحَّةِ وَالشَّعُورِ بِالْأَمَانِ، وَأَنْ تُحِبَّ وَأَنْ تُحَبَّ، وَشَرْبُ الْمَاءِ النَّقِيِّ، وَأَكْلُ الطَّعَامِ الْمُغْذِي، وَالِدَّوَاءِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الْفَضَلَاتِ، وَالتَّوَمُّ وَالرَّاحَةُ، وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ... كُلُّهَا نَعَم لَا غِنَى لَنَا عَنْهَا وَلَا يُمْكِنُ الْعِيشُ بِدُونِهَا. وَهَنَّاكَ نَعَم نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَغْنِيَ عَنْهَا وَلَكِنْ تَضَعُ الْحَيَاةُ بِدُونِهَا، أَوْ هِيَ مِنَ الْكَالِيَّاتِ، فَثَلَا: النَّجَاحُ فِي عَمَلٍ مَا، الشَّعُورُ بِمَحَلَاةِ الْإِنْجَازِ، وَالسَّرِيرِ الْمَرِيحِ، وَالْبَيْتِ الْوَاسِعِ وَالْهَاتِفِ، وَالْمَوَاصِلَاتِ، وَمَسْكَنَاتِ الْأَمِّ، كُلُّهَا أُمُورٌ كَالِيَّةٌ لَا تَتَوَقَّفُ الْحَيَاةُ بِعَدَمِ وَجُودِهَا.

كَيْفِيَّةُ أَدَاءِ الْقِرَاءَةِ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

عند البدء بقراءة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَوَقَّفَ الْقَارِئُ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وَلَا يَكْمَلُ، خَاصَّةً فِي الصَّلَاةِ، فَلَا يَقُولُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②﴾ مُوَصُولَةً، بَلْ يَقْرَأُهَا بَتَأَنٍّ وَيَقِفُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ آيَةٍ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً، فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثُمَّ يَقِفُ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثُمَّ يَقِفُ»^(١). إِذَنْ مَنْ يَقْرَأُ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يَقِفُ وَيَتَفَكَّرُ فِي مَعَانِيهَا أَيْ بِجَلِيلِ التَّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْنَا. فَيَتَفَكَّرُ بِهَا وَهُوَ يَسْتَحْضِرُهَا بِفِكْرِهِ وَسِرِّيَّتِهِ فَيَقُولُ مِثْلًا:

- الحمد لله الذي أنعم عليَّ بالصَّحَّةِ، بعد أن رأيت اليوم مريضًا.
- الحمد لله الذي أنعم عليَّ بالأمن والأمان، لقد شاهدت في الأخبار حروباً هنا وأعاصير هناك.
- الحمد لله الذي أنعم عليَّ بالسَّتر في بيتٍ أسكنه يُؤوئني من الحرِّ، والبرد، والعواصِفِ والتَّشَرُّدِ في الطَّرِقاتِ...
- فَكُلَّمَا قَلْتُ: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ تَسْتَحْضِرُ أَمْرًا مِنْ جَلِيلِ التَّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيَّ.

- الحمد لله على نعمة الإسلام، الحمد لله على نعمة النَّبِيِّ ﷺ.
- الحمد لله على أن جعلتنا نؤمنُ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، مِنْ لَدُنْ سَيِّدِنَا آدَمَ ﷺ، إِلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، مَرُورًا بِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَسَيِّدِنَا مُوسَى ﷺ، وَسَيِّدِنَا عِيسَى ﷺ.
- الحمد لله على أن رزقني زوجةً صالحةً تُعِينُنِي فِي حَيَاتِي، وَتُكْمِلُ لِي شَطْرَ دِينِي، وَأَوْلَادًا بَرَّةً.
- الحمد لله على أن ديننا يأمرنا بِالْحُبِّ، وَلَا يَأْمُرُنَا بِالْكَرْهِ وَالْبُغْضِ.
- وَكُلَّمَا قَلْتُ: ﴿الرَّحِيمُ﴾: تَسْتَحْضِرُ أَمْرًا مِنْ دَقَائِقِ التَّعَمِ.

مِثَال: تَنَاوَلْتُ الْيَوْمَ وَجِبَةً تَحَبَّهَا، أَوْ لَبَسْتُ ثِيَابًا جَمِيلَةً، أَوْ تيسَّرَ لَكَ أَمْرٌ كُنْتَ تَنْتَظِرُ حَدُوثَهُ، أَوْ أَتَيْتُكَ فِكْرَةٌ مُمَيِّزَةٌ

(١) سورة النحل، الآية: ١٨.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک، عن أم سلمة، كتاب: التفسير، باب: من كتاب قراءات النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٢٩١٠، وهو صحيح.

لأحد مشاريعك، أو شربت اليوم فنجان قهوة مع صديقك على شاطئ البحر، أو جلست باسترخاء في الحديقة، وكان الطقس جميلاً، أو حدثك أحدهم بكلامٍ طيبٍ أعجبك... تذكر كل هذه الأمور عندما تقول: **الرحيم**.

لذا، كما قرأت **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** توقّف عندها، واستحضِرْ مجموعة من التَّعَمُّمِ الجليلة ومجموعة من التَّعَمُّمِ الدَّقيقة التي أنعم الله تعالى بها عليك، لِيَمْتَلِئَ قَلْبُكَ بالحمد. فإذا أَحَسَسْتَ أَنَّ قَلْبَكَ قد امْتَلَأَ بالحمدِ، عندها أكمل القراءة، وقل: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، عندها سيخرج الحمدُ من لسانك وقلبك معاً. فإذا خرج الحمدُ منهما معاً، يقول تعالى: **حَمْدِي عَبْدِي**، وأنت طبعاً لا تسمع، ولكن هذه حقيقة، أخبرنا بها النبي ﷺ. فقد قال ﷺ: **﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَضْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمْدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الْرحمن الرحيم﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَلَى عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾، قَالَ: حَمْدِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوُضَّ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ﴾^(١).**

إذن عند قولك الحمد لله رب العالمين، يذكرك الله تعالى بقوله: **حمدي عبدي**، وأن يذكركَ الله فهذا أمرٌ في غاية العظمة. الله جلَّ في علاه ذَكَرَكَ، وما أدراك أيَّ إكرام هذا!! فذكرُهُ لك باقٍ ببقائه، ودائمٌ بدوامه، وكاملٌ بكامله، أمّا ذَكَرَكَ له ففانٍ بفنائك، وناقضٌ بنقصانك، وزائلٌ بزوالك. وفي هذا معنى قول الله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَمْهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾**^(٢). فأن يذكركَ الله تعالى هو أكبر ما في الصَّلَاة.

س كيف يذكرك الله تعالى؟

ج إذا قلت: **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**، واستحضرت معاني جليل التَّعَمُّمِ ودقائق التَّعَمُّمِ، امتلأ قلبك بالحمد، فينثُرُ يخرج الحمد من قلبك ولسانك: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، وعندها يذكرك الله تعالى ويقول: **حَمْدِي عَبْدِي**. أي يذكرك باسمك، قال تعالى: **﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾**^(٣)، وهذا أعظم ما في الصَّلَاة، فأنت تصلي بين يديه، تذكره فيذكرُكَ. **﴿يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَرْفِ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرِ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذَرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذَرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً﴾**^(٤)

فقوله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَمْهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾**^(٥) أمرٌ عظيم وكبير، أن يوفقك الله أن تقف بين يديه لتصلي فتقوى بذلك على نفسك وحيطانك ثم تتجنب الفحشاء والمنكر.

وقوله تعالى: **﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾**^(٦) أي أن ذكر الله تعالى لك أكبر ما في الصَّلَاة، وأكبر شيء على الإطلاق. والصَّلَاة محلُّ المناجاة، وَمَعْدِنُ المصافاة، لأنك تبدوها بذكر نعم الله عليك، فتحمد الله تعالى، وهذا بحمد ذاته يُذهب الهمَّ والغمَّ والحزن من القلب. ثم تقول: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث رقم: ٣٩٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، حديث رقم: ٧٤٠٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

شرح معنى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الرَّبُّ: هو المطاع المدبر للأمور، ونقول: رب البيت، أو رب العمل.

والله تعالى هو: رب العالمين، وهو المطاع في العوالم كلها، وهو المدبر لها كلها. فهو سبحانه الذي يستحق الحمد بأجمعه؛ إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ليس بعد ثناء الله كما أثنى على نفسه ثناء، فله الثناء الكامل فنحن نثني عليه بما أثنى هو سبحانه على نفسه. وتتضمن هذه الآية أمرًا من الله لعباده أن يحمّدوه، فأني حمد يتوجّه إلى مخلوق ما، فهو على الحقيقة لله تعالى، لأنّ الناس إذا مدحوا مخلوقًا ما، إنّما مدحوا نعمة الله تعالى على هذا المخلوق وما أكرمه به من صفات حميدة، فإذا أراد أن يظهر فضله عليك خلّق ونسب إليك.

س ما الفرق بين الحمد والشكر؟

ج الحمد على الصفات، والشكر على النعم.

فالحمد هو أن تقول: فلان كريم، عظيم، شجاع، هو لم يُنعم عليك بشيء، ولكن هذه صفاته، وبخاصّة إذا كان من رجال التاريخ. مثلاً: سيّدنا عمر بن عبد العزيز كان رجلاً عابداً وكريماً وعادلاً، تَحْمَدُ صِفَاتِهِ وَتُثْنِي عَلَيْهَا، ولكن لا تشكره، تشكره عندما يقدم لك معروفاً.

وقد يدخل الحمد في المعنيين. وإذا أردنا أن نفرّق بينهما، فالحمد للصفات والشكر على الأفعال والإنعام.

س ما معنى العالمين؟

ج هي عوالم لا يعلم عددها إلا الله تعالى. هناك ألوف، أو عشرات الألوف، أو مئآت الألوف، كعالم الإنسان، وعالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الحيوان، وعالم الطيور، وعالم الحشرات، وعالم النباتات، وعالم البحار، وعالم الكرسي، وعالم العرش، وعالم السماء الأولى، والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، وعالم البرزخ، وعالم الحساب، وعالم الميزان، وعالم الصراط، وهناك عالم الخيال، ومنه المنامات والرؤى والتخييلات التي في اليقظة، وعالم المثال، وكلها مذكورة في القرآن الكريم. عوالم خلقها الله سبحانه وتعالى، وهو ربها ومدبر أمرها جميعها.

تقول: هذا مديري في العمل يقوم بتدبير أمور العمل بشكل جيّد جدّاً، ولكنّه لا يدبر لي شؤوني الزوجيّة فهي بيني وبين زوجتي. وإذا كانت أموري في العمل جيّدةً فذلك بسبب المدير الذي يدبر الأمر جيّداً. ولكنك تحتاج لمن يدبر أمور عملي ورزقي، وشؤونك الزوجيّة، وشؤونك الصحيّة، وتربية أولادك، ودينك، وأخرتك...
الله سبحانه وتعالى، أرشدك إلى ما فيه صلاح رزقك، وحياتك، وصحتك، وعافيتك، وزواجك، وأولادك، ووالديك، ودينك، وسعادتك، وأخرتك، وكلّ شؤونك.

والعوالم كلّها منظوية فيك أيها الإنسان من عالم الملك والملوك: عالم الملك وهو العالم المشاهد والمحسوس ومنه جسدك، وعالم الملوك وهو عالم غيبي لطيف غير مشاهد وغير محسوس ومنه روحك.

يقول سيّدنا عليّ (عليه السلام):

"أَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِزْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ" ^(١)

(١) ذكره المغربي في البدر التمام شرح بلوغ المرام، كتاب: الصلاة، باب: صفة الصلّة، (٣٢/٣).

س من الذي يدبّر عالم الملك لك؟ ومن الذي يدبّر عالم الملكوت لك؟ ومن الذي يدبّر عالم القلب والعواطف والمشاعر والأحاسيس لك؟

ج الله تعالى والحمد لله، ربّ واحد يدبّر كلّ الأمور. فلا تحتاج أن تلتجئ إلا إليه ولا أن تطلب العون إلا منه. أتعلم ما تؤول إليه الأمور إذا كان هناك أبواب متفترقون، وكلّ يدبّر من مكان ويخرب من مكان؟! إنّ ذلك أشبه بطبيب يعطيك دواءً ليعالج مشكلة ما، وطبيب آخر يعطيك دواءً آخر دون أن يلتفت إلى تأثيره المؤذي وأضراره الجانبية على الجسم ككلّ، والجسم كلّ مترابط، فتكون النتيجة سيئة. وتخيل لو أنّ قلبك له ربّ، ومشاعرك لها ربّ، وإيمانك له ربّ، وجسمك له ربّ، وآخرتك لها ربّ، لتنازعت الأرباب مع بعضها البعض، الحمد لله أنّ جميع عوالمك، وجميع العوالم لها ربّ واحد، ومدبّر واحد، هو أحكم الحاكمين، موصوف بكلّ صفات الكمال التي يُحمد عليها فهو حكيم، عليم، قدير، رحيم، حلیم، عظيم، حنان، متّان، مهيمن، يدبّر العوالم كلّها.

شرح معنى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي وسعت رحمته جميع الخلق في الدنيا، **﴿الرَّحِيمُ﴾** يخص بالرحمة الواسعة للمؤمنين في الدنيا والآخرة. وهما اسمان من أسمائه تعالى، يتضمّنان إثبات صفة الرحمة لله تعالى كما يليق بجلاله. والرحمة هي الإحسان وقضاء الحوائج.

س لماذا الإعادة لاسمي: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» في موضعين في السّورة؟

ج - اسما **﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** في **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** معناهما: المتفضّل بجلال التّعم وبدقائق التّعم.
- اسما **﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** مرّة ثانية، معناهما المتفضّل بالتّعم الباطنة.

س ما النّعم الباطنة؟ وما معنى المتفضّل بالنّعم الباطنة؟

ج النّعم الباطنة هي البلاءات والامتحانات.

فالإنسان بحاجة إلى امتحان، وبحاجة إلى بلاء حتّى يتعرّف إلى أسماء الله تعالى.

مثال: التّلميذ في المدرسة لن يتعلّم إذا لم يقدّم الامتحانات، ولن يتعلّم إلا إذا سبر الشّيء (قاس غوره ليتعرّف عمقه) وقدم المذاكرات، وأخطأ وتعلّم من أخطائه، والله المثل الأعلى.

الله تعالى جعل في دار الدنيا ابتلاءات وامتحانات، فقال الله تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾** أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون^(١)

كلّ إنسان لا بدّ أن يمرّ بخمسة أشكال من الابتلاءات المتنوعة:

- ١- بشيء من الخوف: يكون إمّا بالحرب، وإمّا بالقلق.
- ٢- بشيء من الجوع: إمّا بالمرض، وإمّا بالفقر أو بالصّيام.
- ٣- بنقص من الأموال: إمّا بتلف المال، وإمّا بالسرقة، وإمّا بالانبيارات الاقتصادية.
- ٤- بنقص من الأنفس: إمّا بفقد الدين أو زوجة أو بعض الأولاد، وإمّا بموت الأحبة.

٥- بنقص من الثمرات: إنما ببعض الأعمال التي تقوم بها لا تثمر، فربما لم تخسر مالا، ولكنك قد تخسر أحيانا جهداً وتعباً بذلته فلم يأت بالنتيجة المرجوة، كشجر تعرض لآفة زراعية أو قحط، أو صقيع، أو غير ذلك من الأعاصير والسيول والجراد.

س لماذا تتنوع الابتلاءات؟

ج لأنه ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، فالله تعالى يعلم أي بلاء يصلح لك، ليزيدك معرفة به وتقرباً إليه، فلا يكلّفك إلا وسعك، ويبدّل بلاءك حسب مصلحتك في كل حين، فالحمد لله الذي بيده بلائي، ولو أنّ هذا البلاء بيد أحد غير الله تعالى لأزل بك من البلاء ما لا تتحمّل، أو لأعطاك بلاء لا يتناسب مع ظرفك الحالي، فالحمد لله أنّ البلاء بيده سبحانه. علينا أن نؤمن أنّ البلاء هو عين العطاء: فليس المقصود من البلاء بذاته، وإنما المقصود من البلاء العطاء، تماماً كما تمنع ولدك من فعل ما لا ينبغي، أو من فعل ما يعود عليه بالضرر. وكما تجبر ولدك على الذهاب إلى الطبيب، والذهاب إلى المدرسة وقد تستعين ببعض الأساتذة لتدريسه حتى يخوض الامتحانات، وأنت تعلم أنه يريد اللعب واللهو، فما تسعى إليه في نظر ولدك بلاء، ولكنّه في الحقيقة عين العطاء، والله المثل الأعلى. قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)

التعم التي أكرمنا الله ﷻ بها كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، وهي على قسمين:

١- التعم الظاهرة وهي التعم المعروفة.

٢- والتعم الباطنة وهي الابتلاءات التي تزيدك معرفة وقرباً منه تعالى.

لذلك عندما نقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الحمد لله رب العالمين* الرحمن الرحيم* نقرأ بالتعم التي أنعم الله ﷻ بها علينا، وهي التعم الظاهرة ونقرأ له بالتعم الباطنة، فقد قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٢) فزى أنّ البلاء نعمة، لأنّ الله تعالى علمنا بقوله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٣) فالبلاء الحاصل هو خير لنا دائماً، وهذا البلاء هو من الله تعالى.

س كيف أرى البلاء نعمة وأنا أخسر في هذه الدنيا؟

ج كم من بلاء أنت تراه بلاء، ولو كشف لك الغطاء لرأيت نعمة وعطاء، فكم من شاب نشأ فقيراً وكان يتمنى لو يتمكن من الحصول على العديد من التعم (كسيارة فاخرة وسفر، وثياب فاخرة، والذهاب إلى المطاعم وغير ذلك...) كباقي رفاقه، ولكن تبين له بعد ذلك أنّ فقره هذا كان دافعاً عظيماً للاجتهاد والعمل الدؤوب، وكان سبب نجاحه في عمله وفي حياته، بينما العديد من رفاقه الذين اعتادوا على الحياة المرفهة صاروا فاشلين في عملهم وحياتهم. هذا فضلاً عن أنّ الإنسان يسعد بالتقرب من الله والالتجاء إليه، فكثيراً ما يطغى الإنسان إذا استغنى، أي إذا جاءته التعم ولم يأت به البلاء، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَاءً﴾^(٤)، وإنّ الإنسان إذا طغى ظلم غيره واستكبر، وكل ذلك يعود عليه بالشعور بالكآبة والشقاء في الدنيا وفي الآخرة. بينما البلاء يذكر الإنسان بضعفه ويحاجته لربه، فيلتجئ إليه ويتضرع إليه بأسمائه الحسنى، فيتقرب من الله تعالى وتحسن أخلاقه، ويسعد في الدنيا وفي الآخرة.

ثُمَّ لَا تَتَسَنَّ أَنْكَ لَا تَعِيشَ لِلدُّنْيَا فَقَطْ بَلْ هِيَ مَرَحَلَةٌ قَصِيرَةٌ جِدًّا مِنْ حَيَاتِكَ الْأَبَدِيَّةِ، فَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّكَ وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِكَ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَهْتَمَّ بِإِصْلَاحِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ (الَّتِي هِيَ حَيَاتُكَ الْحَقِيقِيَّةُ الْأَبَدِيَّةُ السَّرْمَدِيَّةُ)؛ لِذَلِكَ لَا بُدَّ لَكَ أَنْ تَتَمَرَّ بِهَذِهِ الْبَلَايَا، حَتَّى تَتَعَرَّفَ إِلَى أَشْيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْجَلَالِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ. تَمَامًا كَحَالِ الْوَلَدِ الَّذِي يَنْظُرُ لِمَصْلَحَتِهِ الْآتِيَةِ يُرِيدُ أَنْ يَلْعَبَ وَيَسْهَرُ وَيُشَاهِدَ التَّلْفَازَ وَيَأْكُلَ الْمَأْكُولَاتِ اللَّذِيذَةَ وَإِنْ كَانَتْ ضَارَّةً، فَهُوَ لَا يَرَى مُسْتَقْبَلَهُ عِنْدَمَا يُصْبِحُ رَجُلًا، ثُمَّ مُسِنًّا، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ وَأَخْلَاقٍ سَوِيَّةٍ، وَبُنْيَةِ قُوَّةٍ صَحِيحَةٍ، فَهَذَا الْأَمْرُ خَيْرُهُ وَالِدَاهُ فَيَعْلَمَانِهِ لَأَنَّهُمَا مَرَّاهُ التَّجَرُّبَةُ. وَهَكَذَا الْإِنْسَانُ الْجَاهِلُ لَا يَحْسِبُ حِسَابَ الْحَيَاةِ الْآخِرَى الَّتِي هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْهَا لَا مَحَالَةَ، كَمَا أَنَّ الْوَلَدَ سَيَكْبُرُ يَوْمًا مَا، وَيَرَى أَنَّ مَا كَانَ يَمْنَعُهُ مِنْهُ وَالِدَاهُ هُوَ عَيْنُ الْعَطَاءِ وَيَشْكُرُهُمَا عَلَيْهِ.

والبلاء صنفان:

١. بلاء شامل عام: وهو بلاء ينزل بك وبغيرك، كحدوث زلزالٍ مثلاً، أو اندلاع الحروب، أو حصول انهيارٍ اقتصاديٍّ، أو مَرَضٍ عامٍّ، مثل الكورونا والفايروسات المتحوِّرة الجديدة.
٢. بلاء خاص بك: أنت ترى أَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ بِخَيْرٍ وَلَكِنْ أَنْتَ وَقَعْتَ فِي ابْتِلَاءٍ، كَتَعَرُّضِكَ لَخَسَارَةٍ كَبِيرَةٍ فِي تِجَارَتِكَ، أَوْ لِمَرَضٍ يَسْتَلْزِمُ عَمَلِيَّةَ جِرَاحِيَّةٍ خَطِيرَةٍ مِثْلًا. فَهَذِهِ الْإِبْتِلَاءَاتُ الْخَاصَّةُ تَوَلَّدَتْ مِنْ مَعَانِي اسْمِ اللَّهِ الرَّحِيمِ. وَهَذَا كُلُّهُ خَيْرٌ لَكَ، فَارْجِعْكَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَكُّلِ مِنْ حَوْلِكَ وَقَوَّتِكَ، وَصَبْرِكَ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالتَّضَرُّعِ بِانْكَسَارٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ فَهْمِكَ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِلْقَرَبِ مِنْ مَوْلَاكَ، وَفِيهِ رَفْعٌ لِدَرَجَاتِكَ فِي الْجَنَّةِ، وَقَدْ قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه: «يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»^(١)، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجُفَّتِ الصُّحُفُ»^(٢).

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَلَاءَ الَّذِي أَصَابَكَ هُوَ عَيْنُ الْعَطَاءِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

- تُقَرُّ لِلَّهِ تَعَالَى بِالَّتَعَمُّ الْظَّاهِرَةِ وَتَحْمَدُهُ عَلَيْهَا.

- تُقَرُّ لِلَّهِ تَعَالَى بِالَّتَعَمُّ الْبَاطِنَةِ وَتَحْمَدُهُ عَلَيْهَا.

- تَقَرُّ بِأَنَّ هَذِهِ الْإِبْتِلَاءَاتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ فِيهَا خَيْرًا عَظِيمًا، وَأَنَّ الْخَيْرَ فِيهَا انْطَوَى عَلَيْهِ هَذَا الْبَلَاءُ.

وَهَذَا مَا حَصَلَ مَعَ سَيِّدِنَا الْخَضِرِ وَسَيِّدِنَا مُوسَى عليهما السلام عِنْدَمَا خَرَقَ الْخَضِرُ السَّفِينَةَ. فَظَاهِرُ مَا حَدَثَ - خَرَقَ السَّفِينَةَ - هُوَ بَلَاءٌ، وَلَكِنَّ حَقِيقَتَهُ أَنَّ هَذِهِ السَّفِينَةَ كَانَتْ سَتَمْرًا عَلَى مَلِكٍ ظَالِمٍ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا، وَلَوْ أَنَّ السَّفِينَةَ كَانَتْ سَلِيمَةً لَكَانَ الْمَلِكُ أَخَذَ السَّفِينَةَ وَسَجَّنَ أَهْلَهَا، وَلَكِنْ عِنْدَ خَرَقِ الْخَضِرِ عليه السلام السَّفِينَةَ مَرَّتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْخُذَهَا، وَيَسْجُنَ أَهْلَهَا، وَاقْتَصَرَتْ الْأَضْرَارُ عَلَى تَصْلِيحِ الْخَرَقِ. فَالْتَّيْجَةُ: كُلُّ أَمْرٍ ظَاهِرُهُ بَلَاءٌ فَرْبَمَا يَكُونُ هُوَ عَيْنُ الْعَطَاءِ.

وَخُلَاصَةُ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

١- ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وَكَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تُشِيرُ لِلتَّعَمُّ الْظَّاهِرَةِ.

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، عن عبادة بن الصامت، كتاب: الشهادات، باب: ما ترد به شهادة أهل الأهواء، حديث رقم: ٢٠٨٧٥، وهو حسن.

(٢) رواه الترمذي في سننه، عن ابن عباس، كتاب: صفة القيامة، باب: ٥٩، حديث رقم: ٢٥١٦، وهو حسن صحيح.

٢- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وكأن الآية الثانية تُشيرُ للتَّعَمُّدِ الباطنة وهي الابتلاءات لأنَّ الربَّ يربِّي، ومن جملة التربية الامتحانات.

شرح معنى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

هو سبحانه وحده مالكُ يوم القيامة، وهو يومُ الجزاء على الأعمال. وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعة من صلواته تذكير له باليوم الآخر، وحثُّ له على الاستعداد بالعمل الصالح، والكفِّ عن المعاصي والسَّيِّئات.

وبهذا المعنى ألقى اللهُ تعالى يومَ الدِّينِ: بأنني أَعْتَرِفُ بالتَّعَمُّدِ، وأَعْتَرِفُ بفضلِ اللهِ تعالى، وأَرْضَى بقضاءِ اللهِ تعالى، فهو ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي يوم الحساب، فالْمُؤْمِنُ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَعِيشُهُ الْآنَ سَوْفَ يَحَاسِبُ عَلَيْهِ. تَمَامًا كالتَّامِيزِ في المدرسة، يدرس ويستعدُّ لامتحانات الفصلية كامتحان آخر العام الدِّراسي، فإذا وَقَّكَ اللهُ تعالى لأنَّ تَحْمَدَ اللهُ على التَّعَمُّدِ، وترضى بالبلايا والتَّعَمُّدِ، عندها تنجو يوم الدِّينِ.

إِنَّ الله سبحانه وتعالى يحبُّ عبده الشَّكُورَ، ويحبُّ عبده الرَّاظِي بقضائه، فلا يُحَاسِبُهُ على الزَّلَلِ، ولا يُحَاسِبُهُ على الخلل، ولا يُحَاسِبُهُ على النَّقْصِ. فإذا جاء العبدُ شَاكِرًا لأنعمه، ومستغفِرًا لذنوبه خائفًا مقامَ رَبِّهِ يوم الدِّينِ يَدْخُلُ عندها في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾^(٢).

إن كنت تشكُرُ وتستغفِرُ اللهُ تعالى فلن يعذِّبك. وإن كنت ترضى بقضاءِ اللهِ تعالى فسيغفوَ عنك و يغفر لك. وليُعْلَمَ بأنَّ سبعين ألفًا من هذه الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ سيدخلون الجنةَ بغير حساب في يوم الدِّينِ، ومع كلِّ ألفٍ سبعون ألفًا. وهذا ما بَشَّرَ به رسولُ اللهِ ﷺ أُمَّتَهُ، وَفَضَلَ اللهُ أَوْسَعَ وأَكْبَرَ وأعْظَمَ.

فإذا فهمت الفاتحة وعملت بمقتضاها، فُتَحَتْ لك أبوابُ الجنةِ الثمانية وحيل بينك وبين أبوابِ النَّارِ السَّبعة. فإذا أَتَقَنْتَ العمل بها كُنْتَ بفضلِ اللهِ ورحمته ومشيئَتِهِ مع السَّبعين ألفًا ودخلت الجنةَ بإذنِ اللهِ بلا حساب، و﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لا يحاسبك في يوم الدِّينِ.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: آية تُخَبِّرُكَ وتُشْعِرُكَ وتُذَكِّرُكَ بالحياة بعد الموت، فالْحَيَاةُ الدُّنْيَا مرحلةٌ قصيرة، إِنَّمَا أَرَادَهَا اللهُ تعالى دار امتحان. أمَّا الحياة الحقيقية فتبدأ بعد الموت. ومن ثمَّ عالم البرزخ، وبعده البعث والنُّشُور، نُبعَثُ من قبورنا، وتعود أرواحنا إلى الأجساد، فنقوم من قبورنا أرواحًا وأجسادًا، ونقف بين يدي اللهِ تعالى للحساب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما نَعُدُّ في حياتنا الدُّنيا وهو يَوْمُ الدِّينِ.

س لماذا نقوم أرواحًا وأجسادًا؟

ج إِنَّ هذه الأرواح والأجساد كانت معًا، سواء أطاعت أم عصت، وليست الرُّوحُ المجردة هي التي أطاعت أو عصت، وإِنَّمَا رُوحُكَ التي في جسدك. فإِنَّمَا اجتمعت الرُّوحُ مع الجسد كانت منها الطَّاعة أو المعصية.

لذلك فَإِنَّ الحساب يكون للرُّوح والجسد، ودخول الجنة للرُّوح والجسد، ودخول النَّار للرُّوح والجسد. يخلق اللهُ تعالى أجسادنا من جديد، وأرواحنا بالأصل لم تَفَنَ بعد الموت، حيثُ تَعُودُ الأرواح في الأجساد ثم يقوم

الإنسان في يوم الدين لرب العالمين، ويُساق النَّاسُ إلى موقفهم زُمَرًا زُمَرًا كُلٌّ في زُمرته، فمنهم من هو في زمرة النبي محمد ﷺ، والنبِيِّين والصّديقين والشّهداء ومنهم من هو في زمرة الصّالحين، ومن هو في زمرة الدّاكِرِينَ، ومن هو في زمرة الصّائِمين، ومن هو في زمرة الفاسقين، ومن هو في زمرة الظّالمين، ومن هو في زمرة أهل الدّنيا، ومن هو في زمرة أهل اللّهُو، وهكذا زُمَرًا زُمَرًا.

شرح معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

أي: إِنَّا نَخْصُصُكَ يَا رَبِّ وَحَدَّكَ بِالْعِبَادَةِ، ونستعينُ بك وحدك في جميع أمورنا. فالأمر كُلُّه بيدك، ولا حول ولا قوَّة إلا بك، وفي هذه الآية دليلٌ على أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَصْرِفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: كالدُّعَاءِ، والاستغاثَةِ، والدُّخْرِ، والطَّوَافِ إِلَّا لِلَّهِ وحده، وفيها شفاءُ القلوبِ من داءِ التَّعَلُّقِ بغير الله تعالى، ومن أمراضِ الرِّياءِ، والعُجْبِ، والكِبَرِيَاءِ.

فبعد ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، جاءت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهنا تحوَّلَ الخطابُ في سورة الفاتحة من مقام الغائب إلى مقام الحاضر والمواجهة بكاف الخطاب فكأنَّه اقترب وحَضَرَ بين يدي الله تعالى وهذا ما يسمَّى في علم البلاغة بالالتفات، وهو الانتقال بالكلام من صيغة التَّكَلُّمِ أو الخطاب أو الغيبة والمواجهة بكاف الخطاب فكأنَّه اقترب وحَضَرَ بين يدي الله تعالى، إلى صيغة أخرى، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتدبُّر في مواقع الالتفات، شرط أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، بمعنى أن يعود الضمير الثاني على نفس الشيء الذي عاد إليه الضمير الأوَّل وهو الحاصل في هذه الآيات الكريّما، يعني: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أنا أُخاطب غائباً حاضراً وهو معنا أينما كنّا. ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أُخاطب غائباً حاضراً وهو معنا أينما كنّا.

ثمَّ انتقلت في قول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى خطاب الحاضر المواجه، فلم يقل: ﴿إِيَّاهُ نَعْبُدُ﴾، بل قال: ﴿إِيَّاكَ﴾، لأنَّه بعد استحضر هذه المعاني، أوقفك الله تعالى بين يديه، فقال لك: «يا عبدي اسألني ما تريد».

فبعد أن قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وحمدت الله تعالى، وتذكرت نِعَمَهُ الكثيرة عليك، ثمَّ شَكَرْتَ هذه النِّعَمَ وأذعنت افتقارك إليه وتوكلت عليه وكأنَّكَ تُفَوِّضُهُ وتطلَّبُ منه الإستعانة بكلِّ شؤْنِكَ التي حَصَلَتْ مَعَكَ صَغِيرَهَا وكَبِيرَهَا، إذ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ تعالى، كالمَصَائِبِ التي نزلت بك اليوم: فلان أذاك بكلام كدرك، أو ساءَكَ برءٌ أو حرٌّ شديد، أو خسرت صفقة مهمّة...

وبعد أن استحضرته هذه المعاني: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أوقفك الله بين يديه، وقال لك: عبدي اسألني ما تريد، فإني سأعطيك، كما قال: «فإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله تعالى: ﴿هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ﴾ وهنا انتقال إلى الخطاب المباشر مع ربِّ العالمين، فتقول له: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي: إلهي أنت المقصود وأنت المعبود لا غيرك.

س لماذا قدَّم إِيَّاكَ على نَعْبُدُ؟

ج قدَّم إِيَّاكَ على نَعْبُدُ لأجل مَعْنِيَيْنِ:

المعنى الأوَّل: نَعْبُدُكَ، ولا نَعْبُدُ سِوَاكَ.

المعنى الثَّاني: إِيَّاكَ نعني أنت يا إِلَهنا المقصود، وليست العبادة.

فمن النَّاسِ من يخطئ ويظنُّ أَنَّ المقصود هو العبادة - وهذا خطأ - فالله تعالى هو المقصود، والعبادة فعل ما يُرضي الله في الوقت الذي حدَّده لك، فالله أمرك أن تصلِّي، فتصلِّي في الوقت الذي أمرك وتنتهي عن الصَّلَاة في الوقت الذي نهاك عنه كوقت الشروق. الله أمرك أن تصوم، فتصوم في الوقت الذي أمرك كشهر رمضان وتنتهي عن الصَّيَام

في الوقت الذي نهاك عنه كأيام من العيد كيوم عيد الفطر وأيام عيد الأضحى. الله أمرك ألا تغش فلا تغش. الله أمرك أن تلاطف زوجتك فتلاطف زوجتك. الله تعالى أمرك أن تصل رجلك فتصل رجلك. الله تعالى أمرك أن تُثَقِّن عملك، فتثقن عملك، الله تعالى أمرك أن تتصدق، فتصدق...

إِذْ الْعِبَادَةُ هِيَ فِعْلُ أَمْرِ اللَّهِ بِهِ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ، فَاللَّهُ تَعَالَى أَمَرَكَ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ: فَلِوَالِدَيْكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَلِأَوْلَادِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَلِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَلِرَبِّ الْعَمَلِ عَلَيْكَ حَقٌّ، وَكُلُّ هَذَا مِنَ الْعِبَادَةِ، كَوْنِكَ فَعَلْتَ ذَلِكَ امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّكَ، وَالْأَمْرُ تَأْخُذُهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ وَحْدَهُ. فَهَلْ تَقْصُدُهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ أَمْ تَقْصُدُ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْكَ؟ أَمْ لِلْمَنْفَعَةِ الْمَادِيَّةِ؟

بل القصدُ هو اللهُ تعالى، إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبِي.

فأنا كزوج أحسن مُعاملة رُؤُوتي وإن لم تحسن هي مُعامَلتي والعكس صحيح، ذَلِكَ لِأَنِّي أَحْسِن مُعامَلَةَ رُؤُوتي امْتِثَالاً لِأَمْرِ رَبِّي طَلِباً لِرِضَاهُ لَا بَنِيَّةَ أَنْ تُحْسِنَ هِيَ مُعامَلَتِي، وَأَنَا كَطَبِيبٍ أَوْ مُهَنْدِسٍ أَوْ تاجِرٍ أَوْ مُوظَّفٍ أَتَقَنُ عَمَلِي، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي بِذَلِكَ لَا لِأَنَّهُ يَعُودُ عَلَيَّ بِمَنْفَعَةٍ مَادِيَّةٍ.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: نَعْبُدُكَ وَلَا نَعْبُدُ سِوَاكَ.

ومع قولي: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُكَ﴾ أي أعترف بِعَجْزي عن عِبَادَةِ رَبِّي على النَحْو الذي أمرني به، فأطلبُ العَوْنَ من الله تعالى بقولي: ﴿وَأِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُكَ﴾ أي أَسْتَعِينُ بك لا بسواك. كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١). فلا تَسْأَلْ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا تَطْلُبِ الْعَوْنَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ ﷻ.

وفي علم البلاغة يسمّى هذا التقديم بأسلوب القصر، ومعناه تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بآخر بطريقة مخصوصة، وطرق القصر كثيرة، منها: تقديم المفعول أو المفعول به، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

س على ماذا أستعين بالله تعالى؟

ج أَسْتَعِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَصْلِيَ، وَأَصُومَ، وَأُزَيِّجَ، وَأَتَصَدَّقَ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَلَّا أُعْشَّ وَلَا أَظْلَمَ، وَعَلَى الْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصَلَةِ الرَّحْمِ، إِذَا أَسْتَعِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي مِنْ أُمُورِ الْعِبَادَةِ. وَمَعْنَى الْعِبَادَةِ شَامِلٌ لِكُلِّ مَنَاحِي الْحَيَاةِ، فَهِيَ فِعْلُ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

الآن عدت من عملك إلى بيتك، في هذا الوقت يأمرُكَ رَبُّكَ أَنْ تُلَاعِبَ أَوْلَادَكَ، فتكون عبادتُكَ في مُلَاعِبَةِ أَوْلَادِكَ.
الآن أتاك فقير يسألك، إذا عبادتك الآن أن تتصدق.

الآن سمعت الأذان، إذا عبادتك في الصلاة.

الآن أمرك الله تعالى أن تقرأ وِرْدَكَ وأذكارك، إذًا عبادتك في الورد والذكر.

الآن أمرك الله تعالى أن تصل رحمك، إذا عبادتك في صلة الرحم.

تعريف العبادة: فعل أَمَرَكَ اللهُ تعالى به في الوقتِ المُخَصَّص لهذه العبادة على هدي رسول الله ﷺ.

وَمَرْجِعُهَا إِلَيْهِ وَمَنَّهُ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْوَائِي، وَلَا مِنْ نَفْسِي، وَلَا فِيَا أَرَاهُ حَسَنًا أَوْ أَرَاهُ قَبِيحًا، وَإِنَّمَا أَجْعَلُ هَوَايَ مُوَافِقًا لِمَا حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَرَادَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ)»^(٣) أَي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

(١) رواه الترمذی فی سننه، عن ابن عباس، کتاب: صفة القيامة، باب: ٥٩، حدیث رقم: ٢٥١٦، وهو حسن صحيح.

(٢) ذكره إسماعيل الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة برقم ١٠٣.

فإذا حَكَمَ تعالى بِحُسْنِهِ أَحَكُّمُ أَنَا بِحُسْنِهِ، وإذا حَكَمَ بِقُبْحِهِ أَحَكُّمُ بِقُبْحِهِ. يعني آمَنْتُ بِاللَّهِ، وبما جاءَ من عند الله على مراد الله. كما قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(١). وقال أيضًا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢) فأقترَ بآئني عاجز عن تطبيق هذا كله، فأسأل الله تعالى وحده أن يعينني عليه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

لا تنسَ أنَّ لك دعاءً مستجابًا، عندما تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وبخاصة في الصلاة، لأنَّ الله تعالى يقول لك: ((هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)) فأنت هنا من غير تلفُّظ تطلب حاجاتك من الله تعالى بقلبك. وعندما تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تسأل الله تعالى بقلبك: اللَّهُمَّ أَعِثِّي على إقامة صلاتي كما تحب وترضى واقبلها مني، واجعلني من خيرة أحبائك وأوليائك، ومن أنفع عبادك لعبادك، هذه تقولها بقلبك من غير تلفُّظ بلسانك. فتسأل الله تعالى أن يُعينك على ما طلبه منك كبر الوالدين أو ترك الغيبة أو غض البصر وهكذا تطلب ذلك بقلبك مستحضرًا أنَّ الله تعالى يجيبك ((هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)) وربما يستغرق ذلك لحيزة أو بمجرد ورود خاطر، ويمكنك عندما تكمل قراءة الفاتحة أن تتفكر وتستشعر بها ثم تكمل، أي تقول: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، حتى لا تنقطع قراءتك للفاتحة.

شرح معنى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

دُلْنَا، وأزْشَدْنَا، ووقَّعْنَا يا الله إلى الطريق المستقيم، وثَبَّتْنَا عليه حتَّى نلقاك، وهو دينُ الإسلام، الذي هو الطَّرِيقُ الواضِحُ المُوَصِّلُ إلى رِضْوَانِ اللَّهِ وإلى جَنَّتِهِ، الذي دَلَّ عليه خَاتَمُ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فلا سبيل إلى سَعَادَةِ الْعَبْدِ إِلَّا بِالْإِسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: هنا أطلب من الله الهداية إلى الصِّراطِ المستقيم.

س ما هو الصِّراطُ المستقيم؟

ج فيه عدَّة أقوال:

- فمنهم من قال: هو القرآن الكريم.
- ومنهم من قال: هو نهج النبي ﷺ.
- ومنهم من قال: هو رسول الله ﷺ لأنَّ من أسأله ﷺ، الصِّراطُ المستقيم. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٣) فالله تعالى أمرنا باتِّباع الصِّراطِ المستقيم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٤). وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥). فالتَّبْيُّ هو الوساطة لذلك كله. فالتَّبْيُّ ﷺ من أسأله «أحمد»، و«الأمين»، و«المصطفى»، و«نبي الرحمة»، وأيضًا «الصِّراطُ المستقيم».

فصار معنى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وقَفْنِي يا رَبِّ لِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ في جميع شؤوني، في حياتي، وفي معتقداتي، وفي أخلاقي وفي أقوالي، وفي أفعالي، وفي أفكاري، اتِّباعًا كاملاً تامًّا في جميع الشؤون والأمور. كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٦).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٦) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

فيتفرع من: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

- اهْدِنِي يَا رَبِّ لَا تَتَّبِعِ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَخْلَاقِهِ الْكَرِيمَةِ وَسُنَنِهِ الْعَظِيمَةِ.
- اهْدِنِي يَا رَبِّ لَا تَتَّبِعِ النَّبِيَّ ﷺ فِي عِبَادِيَّتِهِ وَتَعَبُّدِهِ لِزَبِّ الْعَالَمِينَ: فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَفِي الصِّدْقِ مَعَ اللَّهِ، وَفِي حُبِّ اللَّهِ، وَفِي الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ، وَفِي حَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَفِي الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَفِي الرِّجَاءِ بِاللَّهِ.
- اهْدِنِي يَا رَبِّ لَا تَتَّبِعِ النَّبِيَّ ﷺ فِي حُسْنِ مَعَامَلَةِ الْأَوْلَادِ، وَالتَّلَطُّفِ فِي مَعَامَلَةِ الزَّوْجَةِ، وَالْإِحْسَانِ فِي مَعَامَلَةِ الْجِيرَانِ وَتَحَرِّيِ الْكُتْبِ الْحَلَالِ مَعَ الْوَرَعِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَفِي سَائِرِ الْمَعَامَلَاتِ مَعَ الْخَلْقِ.
- اهْدِنِي يَا رَبِّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فِي صَلَاتِي: ((صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي))^(١)، وَفِي حِجِّي: ((لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ))^(٢)، وَفِي زَكَاتِي، وَفِي صِيَامِي، وَفِي كُلِّ شَأْنٍ حَيَاتِي، اهْدِنِي بِأَنْ أَتَّبِعَ هَذَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ نَبِيِّكَ ﷺ. فَكَلِّمْنَا أَقْرَأَ فِي الْفَاتِحَةِ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَسْتَحْضِرُ بِفِكْرِي النَّبِيَّ ﷺ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يَعْنِي صِرَاطَ الَّذِي يَمْلِكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فَجْعَلْ هِدَايَةَ الصِّرَاطِ عَنْ طَرِيقِ هِدَايَةِ ﷺ.

س أين ذكر النبي ﷺ في سورة الفاتحة؟

ج ذكر النبي ﷺ في الفاتحة في: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. لذا أَسْتَحْضِرُ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَأَنِّي أَصَلِّيَ خَلْفَهُ، فَأَرْكَعُ بَرُكُوعَهُ، وَأَسْجُدُ بِسُجُودِهِ، وَأَقُومُ بِقِيَامِهِ، وَأَتَصَرَّفُ كَمَا يَتَصَرَّفُ.

شرح معنى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

طريق الذين أنعمت عليهم من التبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي: ولا نجعلنا ممن سلك طريق المغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به بل غيروه وبدلوه وحرفوه، كاليهود ومن كان على شاكلتهم ممن قتل الأنبياء والصالحين وحاربهم. ولا نجعلنا ربنا ممن سلك طريق الضالين، وهم الذين رضوا أن يتلاعب الآخرون بدينهم ومعتقداتهم وقيمهم ومبادئهم وأخلاقهم، ولم يدافعوا عنها أو يتمسكوا بها، بل حرفوا وغيروا وبدلوا. وفي هذا الدعاء شفاء لقلب المسلم من مرض الجحود، والجهل، والضلال، ودلالة على أن أعظم نعمة على الإطلاق، هي نعمة الإسلام، فمن كان أعرف للحق وأتبع له، كان أولى بالصراط المستقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ هم أولى الناس بذلك بعد الأنبياء ﷺ، فدلَّت الآية على فضلهم، وعظيم منزلتهم ﷺ.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هو منهج الحياة، وأي حياة: هي الحياة الطيبة المصاحبة لرضى الله ورسوله ﷺ.

س من هم الذين أنعم الله عليهم؟

ج هم التبتون والصديقون والشهداء والصالحون.

نستحضر أناساً أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم، كسيدنا إبراهيم، وسيدنا موسى، وسيدنا هارون، وسيدنا يوسف، وسيدنا عيسى ﷺ، والسيدة آسية والسيدة مريم ﷺ، والصحاب الكرام: كسيدنا أبي بكر، وسيدنا عمر، وسيدنا عثمان، وسيدنا علي، وسيدنا أسامة، وسيدنا أبي عبيدة، وسيدنا زيد، وسيدنا حمزة، وسيدنا العباس، وسيدنا عبد الله بن عباس،

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحَوْثِرِ، كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، حديث رقم: ٧٢٤٦.

(٢) رواه أبو نعيم في مسنده، عن جابر بن عبد الله، كتاب: الحج، باب: في رمي الجمار، حديث رقم: ٢٩٩٥، وإسناده صحيح.

وسَيِّدِنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَالسَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ، وَالسَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ، وَالسَّيِّدَةَ عَائِشَةَ، وَالسَّبْطَيْنِ السَّعِيدَيْنِ سَيِّدِنَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام، وغيرهم كثير من الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين في كل زمن وحين.

أستحضرُ بعض هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، واقفين خلف النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلُّونَ في كلِّ مَرَّةٍ أقرأ فيها الفاتحة، أَسْتَحْضِرُهُمْ واقفين بجانبِي خلف النَّبِيِّ الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما أقول: صراط الذين أنعمت عليهم، فالمحافظة على إقامة الصلاة إشارة إلى الاتِّباع، فإمامك أَمَامُكَ تَبِعُهُ، وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجميع الذين أنعم الله عليهم يتبعون النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكما صَلَّى جميع الأنبياء خلف النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رحلة الإسراء والمعراج، كذلك صَلَّى إماماً بالصَّحَابَةِ الكرام؛ والأولياء والعلماء مِنْ بَعْدِهِ اقْتَدَوْا بِهِ، وإن فاتهم أن يصلُّوا وراءه في حياته، فإنهم صلُّوا كما كان يُصَلِّي، وهم ورثته وأهل طاعته، وهم الَّذِينَ قال الله تعالى بحَقِّهم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١)

وأنا في كلِّ مَرَّةٍ أقرأ الفاتحة أَسْتَحْضِرُ أُنِّي أَصَلِّيَ خلف النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن يميني وعن شمالي أحد الذين أنعم الله عليهم. تارة أَسْتَحْضِرُ عن يميني سَيِّدَنَا أبا بكر الصِّدِّيق، وأخرى أَسْتَحْضِرُ عن شمالي سَيِّدَنَا علي بن أبي طالب، وأنا بينهما. لماذا أَسْتَحْضِرُ أُنِّي بينهما؟ لأنَّه لما أقول: صراط الذين حرُفُ الذال "ذ" الموجود في كلمة "الذين" لا يصح لفظه إلا إذا وضعت اللسان بين الأسنان، وهذه إشارة على أن تحشر نفسك بين الذين أنعم الله عليهم وكأنك تقول: يا رَبِّ اجعلني مع الذين أنعمت عليهم، فإنِّي أحبُّ أن أكون مع النَّبِيِّينَ والصَّحَابَةِ الكرام عليهم السلام، مثل سَيِّدَنَا أبي بكر وسَيِّدَنَا عمر وسَيِّدَنَا عثمان وسَيِّدَنَا علي عليهم السلام، ومثل سَيِّدَنَا الحسن وسَيِّدَنَا الحسين عليهما السلام. أريد أن أكون معهم واقفاً أصلي معهم خلف النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن أكون مثلهم، وأن أُحْشَرَ معهم، وأن أَحْسَبَ عليهم. وهذا ما أطلبه من الله تعالى في ﴿هَٰذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ عليهم السلام، فيجب علينا أن نبحث ونتعرَّف الطريقة إلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ من خلال آيات القرآن الكريم، وذلك أنَّ القرآن مليءٌ بتعريف المسلم على الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، حتَّى لا يكون للنَّاسِ على الله حُجَّةٌ، فهو طريق واضحٌ وبَيِّنٌ لا عِوَجَ فيه ولا خَيْرَةٌ.

س ما هو صراط الذين أنعم الله عليهم؟

ج بعض آيات القرآن الكريم تشرح أمثلة من صراط الذين أنعم الله عليهم، بفعل الطاعة وترك المعصية:

١. ففي قول الله تعالى: ﴿اغْدِلُوا﴾^(٢) تعاملوا بِالْعَدْلِ مع كلِّ إنسان صديقاً كان أو عدواً.
٢. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾^(٣) لا تعتدوا مطلقاً، وإن كانت الحرب مع الأعداء وقتلتموهم في سبيل الله، لا تقتلوا من لا يقاتلكم من النِّساء والصِّبيان والشيوخ، ولا تحرقوا شيئاً، ولا تقطعوا شجراً، ولا تقتلوا حيواناً لغير مَصْلَحَةٍ، ولا تهدموا الصوامع والبُيع والكنائس وأمكنة العبادة.
٣. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٤) كونوا دَوْماً مُصْلِحِينَ، ولا تُفْسِدُوا في الأرض بإفساد الأخلاق والقيم، أو بإفساد الطَّبيعة أو المناخ.
٤. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾^(٥) لا تخطئوا الحقَّ بالباطل والصِّدْقَ بالكذب.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

(١) سورة النِّساء، الآية: ٦٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

٥. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١) لا تُقُلْ رَأَيْتُ وَأَنْتَ لَمْ تَرَ، وَسَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ، وَعَلِمْتُ وَلَمْ تَعْلَمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَأَلْتُكَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.
٦. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾^(٢) لا تَتَكَبَّرْ فَتُخَفِّرْ عِبَادَ اللَّهِ، وَتُعْرِضَ عَنْهُمْ بِوَجْهِكَ إِذَا كَلَّمُوكَ.
٧. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾^(٣) أَي مَشِيَّةً خِيَلًا وَتَكَبَّرَ وَصَلَفًا..
٨. وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، وَقَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) أَلِنْ لَهْمَ جَانِبِكَ وَتَوَاضَعَ أَمَامَهُمْ.
٩. وقوله تعالى: ﴿وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ﴾^(٦) أَي لَا تُبَالِغْ فِي الْكَلَامِ وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيهَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ.
١٠. وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾^(٧) إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ أَنْ تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَالْعُرْفُ الْمَعْرُوفُ.
١١. وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٨) أَعْرِضْ عَنِ الْمَسِيءِ، فَمُزَّهُ بِالْمَعْرُوفِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، فَإِذَا تَمَادَى فِي ضَلَالِهِ وَاسْتَعَصَى عَلَيْكَ وَاسْتَمَرَّ فِي جَهْلِهِ فَأَعْرِضْ عَنْهُ، فَالْمَسَامُ مِنْ سَلَمِ النَّاسِ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.
١٢. وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٩) أَي مِنْ أَسَاءِ إِلَيْكَ فَادْفَعْهُ عَنْكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ.
١٣. وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾^(١٠) ذَكَرَ الْخَلْقُ بِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَبِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى؛ ك: الرَّؤُوفِ، الرَّحِيمِ، الْكَرِيمِ، الْحَلِيمِ، الْقَوِيُّ، وَالْمَتِينِ.
١٤. وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(١١) الصَّدَقَةُ تَبْطُلُ عِنْدَمَا يَتَّبِعُهَا الْمَنُّ وَالْأَذَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((ثَلَاثَةٌ لَا يَكْتُمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمَنَانُ بِمَا أُعْطِيَ))^(١٢).
١٥. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(١٣) هَذَا فِي الرَّجُلِ يَكُونُ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَلَيْسَ عِنْدَ صَاحِبِ الدَّيْنِ بَيِّنَةٌ فَيَنْكَرُ وَيُخَدِّدُ الْمَالَ فَلَا تَكُنْ مِثْلَهُ.
١٦. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾^(١٤) بِاحْتِقَارِهِمْ وَاسْتِصْغَارِهِمْ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ.
١٧. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾^(١٥) أَي لَا تَلْمِزُوا النَّاسَ، وَالْهَمَّازُ اللَّامُ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ وَيَذْكَرُ عِيوبَهُمْ مَذْمُومٌ مَلْعُونٌ، وَلَا تَدَاعَوْا بِالْأَلْقَابِ الَّتِي يَسْتَاءُ الشَّخْصُ لِسَمَاعِهَا.
١٨. وقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾^(١٦) لَا تَنْظُرْ بِكَلِمَةٍ قَالَهَا أَخُوكَ الْمُؤْمِنُ إِلَّا خَيْرًا، مَا دُمْتَ تَجِدُهَا فِي الْخَيْرِ مُحْمَلًا، أَيِ حَيْثُ الظَّنُّ بِهِ، وَالتَّمَسُّ لَهُ سَبْعِينَ عُذْرًا.
١٩. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(١٧) أَي: عَلَى بَعْضِكُمُ الْبَعْضَ، فَمَا أَخْفَاهُ عَنْكَ غَيْرُكَ أَمْرٌ لَا يَعْنِيكَ.
٢٠. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمُ بَعْضًا﴾^(١٨) فِيهِ نَهْيٌ عَنِ الْغَيْبَةِ، وَهُوَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، وَالْغَيْبَةُ مُحَرَّمَةٌ بِالْإِجْمَاعِ.
٢١. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾^(١٩) بَأَنْ يَأْخُذُوا بِجَمِيعِ غُرَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، وَالْإِعْتِقَادِ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦. (٢) سورة لقمان، الآية: ١٨. (٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٧. (٤) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥. (٦) سورة لقمان، الآية: ١٩. (٧) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩. (٨) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٩) سورة فصلت، الآية: ٣٤. (١٠) سورة النحل، الآية: ١٢٥. (١١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(١٢) رواه أحمد في مسنده، عن أبي ذر، مسند: الأنصار، مسند: أبي ذر الغفاري، حديث رقم: ٢١٤٨١، وإسناده صحيح.

(١٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٨. (١٤) سورة الحجرات، الآية: ١١. (١٥) سورة الحجرات، الآية: ١١. (١٦) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(١٧) سورة الحجرات، الآية: ١٢. (١٨) سورة الحجرات، الآية: ١٢. (١٩) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

بجميع عقائده، وتشريعاته وأخلاقه.

٢٢. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾^(١) أي إذا سلم عليكم أحد فردُّوا عليه بطريقة أفضل مما سلم، أو ردُّوا التحية كما حيَّاكم.

٢٣. وقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢) فإن الله سبحانه جعلهما سببًا لخروجك من العدم إلى الوجود، والفوز بسعادة الأبد في جنات الخلد.

٢٤. وقوله تعالى: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾^(٣) الإحسانُ إلى القَراباتِ من الرجال والنساء واليتامى، لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم، ومن يُنفق عليهم.

٢٥. وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الْبَاسِسَ الْفَقِيرَ﴾^(٤) المضطر، الذي يظهر عليه البؤس، وهو الفقير المتعفف الذي لا يمدُّ يده ولا يطلب من الناس شيئًا.

٢٦. وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٥) يأمر تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا سنَّ الرُّشد.

٢٧. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾^(٦) أي لا تتركوا الحلال لتجنحوا إلى الحرام.

٢٨. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٧) أي من أي شيء، أو من كل شيء رزقكم الله.

٢٩. وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٨) أي مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف.

٣٠. وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٩) أي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحلم، ويعفو، ويصفح.

٣١. وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾^(١٠) المعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى.

٣٢. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١١) ينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحرمات.

٣٣. وقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾^(١٢) أي حلف اليمين، فلا تكثروا من الحلف، وإذا حلفتم فاحفظوا أيمانكم وطبقوها.

٣٤. وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾^(١٣) الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكدة.

٣٥. وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾^(١٤) أي من غير تطفيف بالميزان.

٣٦. وقوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾^(١٥) وهو الميزان العدل الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب.

٣٧. وقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١٦) إن أردت أن تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا، والكف عن أهل الملة.

٣٨. وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١٧) يعني ما تعاقدتم عليه، وكذلك العهود، يعني ما أحل الله وما حرّم، وما فرض، وما حدّ في القرآن كله.

٣٩. وقوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾^(١٨) أي كونوا متعاونين متناصرين في تطبيق العدل، واشهدوا شهادة الحق ولو عاد ذلك عليكم بالضرر، فالله سيجعل لمن أطاعه فرجًا ومخرجًا من كل أمر يضيق عليه.

٤٠. وأخيرًا اتباع نهج الخلفاء الراشدين الهادين المهديين.

كل أمر أو نهي من الأربعين، لك فيه مثال في فعل طاعة أو ترك معصية في حياة أحد الأنبياء، أو الصحابة، أو التابعين، أو أحد الأولياء الذين عاصرتهم. تستحضر دائمًا موقفًا من حياة الذين أنعم الله عليهم وأنت واقف بينهم، وتقول: أريد

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦. (٢) سورة النساء، الآية: ٣٦. (٣) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢. (٥) سورة النساء، الآية: ٢. (٦) سورة الأحراب، الآية: ٧٠.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٨٣. (٨) سورة المائدة، الآية: ٢. (٩) سورة المائدة، الآية: ٢.

(١٠) سورة النحل، الآية: ٩١. (١١) سورة الإسراء، الآية: ٣٥. (١٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(١٣) سورة المائدة، الآية: ١. (١٤) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

القرآن الكريم يعطينا نماذج عن الذين أنعم الله عليهم: فهو يقص لنا قصة سيدنا آدم، وقصة سيدنا إبراهيم، وقصة سيدنا موسى، وقصة سيدنا يوسف، وقصة سيدنا يونس، وقصة سيدنا هود، وقصة سيدنا زكريا، وقصة السيدة مريم، وقصة السيدة آسية امرأة فرعون عليها السلام.

إن سورة الفاتحة ملخص عن القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم سيتكلم عن: أسماء الله تعالى، وسورة الفاتحة ذكر فيها خمسة أسماء من أسماء الله تعالى: الله، الرحمن، الرحيم، الرب، المالك.

القرآن الكريم سيذكر باقي الأسماء، كما سيذكر باقي الصفات.

القرآن الكريم سيتكلم عن يوم الدين بالتفصيل، وسيتكلم عن التعم وعن البلاء، وسيتكلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صراطه المستقيم، وسيتكلم عن الأنبياء والصالحين وكيف اتبعوا الصراط المستقيم، وسيتكلم عن المغضوب عليهم وهم من جاءهم الحق فأعرضوا عنه، وسيتكلم عن الذين ضلوا ورضوا أن يحرف بدينهم، وقصروا في البحث عن الحقيقة. ثم إن سورة الفاتحة دعاء، وأيما دعاء وهي طريقة وسبيل ودعوة الحق وتتمثل في: أن نتبع منهج حياة الصالحين ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾، ونترك منهج حياة المغضوب عليهم والضالين ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، أي غير منهج حياة الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، وليس لديهم قيم، ولا مبادئ، وقد حذرنا النبي من اتباع منهجهم وعلمنا أن نقول بعد قراءة سورة الفاتحة آمين، وآمين ليست من القرآن، وليست من سورة الفاتحة، وكتبها دعاء، بمعنى: اللهم استجب.

عجائب سورة الفاتحة

وهذا بيان لبعض العجائب العظيمة التي طواها ربنا في ثانيا هذه السورة - سورة الفاتحة - وهي التي تسمى السبع المثاني، فمن عجائبها أنها:

١. السورة الشافية بمشيئة الله تعالى، لذلك كان الصحابة رضي الله عنهم في بعض شؤونهم يجعلون قراءتها كرقية شرعية. (أو تقرأ سبع مرات)
٢. تقرأ لقضاء الحوائج بإذن الله تعالى.
٣. سبب في غفران الذنوب، قال النبي: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا آمِينَ، فَمَنْ وافق قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).
٤. لا تصح الصلاة إلا بقراءتها في كل ركعة عند الشافعية وتعد الصلاة ناقصة إذا لم تُقرأ عند الجمهور.

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، حديث رقم: ٤٤٧٥.

- ✓ استمطار الرحمة للأمة الإسلامية جمعاء وللعالم أجمع، فيدعو كل واحد منا أن يغفر الله تعالى للمسلمين والمسلمات، ويرحمهم ويقضي حوائجهم، ويشفي مرضاهم، ويطعم جياعهم.
- ✓ النظر إلى اتساع الرحمة ومظاهرها في الموجودات، وبذلك يقوى الرجاء ويتحقق الإيمان. فترى كيف أن التراحم يسود في كل شيء.
- ✓ الاستعاذة بالرحمن من الشيطان؛ لصرف مداخل الشيطان على العبد، ﴿وَمَنْ يَغْشُ﴾ (يغفل) **عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ يَقْتِضِ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ^(١).

في الأمر والنهي

- **كيفية حمد الله:** في سورة الفاتحة: وهي الدعاء العاقد للصلة مع الله، الذي علمنا إياه المولى ﷺ، يقرؤه المؤمن في كل المناسبات، في الصلاة وغيرها، لأن بدايته على تأويل أو تقدير محذوف فالمقصود، أي قولوا: الحمد لله رب العالمين، وذلك يقضي أن الله أمرنا بفعل الحمد، وعلمنا كيف نحمده وكيف نشني عليه، وكيف ندعوه، ويفهم منه أن من آداب الدعاء: أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه، ليكون ذلك أدعى إلى الإجابة.
- **استحضار معاني الفاتحة:** على المصلي أن يستحضر في صلاته كل معاني الفاتحة، من كون الله أعظم من كل عظيم، وأكبر من كل شيء، وأن كل ثناء جميل هو لله تعالى استحقاقاً وفعلاً، من حيث أنه الرب خالق العالمين ومدبر جميع أمورهم، وأن رحمة الله مقرونة بعظمته وملكه وسلطانه وتصرفه دون غيره يوم الحساب، فهو المستحق للعبادة وحده، ومنه وحده تطلب المعونة على العبادة وعلى جميع الشؤون، وهو سبحانه الدال بتوفيقه ومعونته إلى طريق الخير والحق في العلم والعمل، وللمؤمن في مناجاته قدوة حسنة، ومن الذين أنعم الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، من التبيين والصدقين والشهداء والصالحين، كما أن أمامه عبرة وعظة مع التحذير من الذين غضب الله عليهم بإيثارهم الباطل على الحق، وترجيحهم الشر على الخير، والضالين عن طريق الحق والخير بجهلهم، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فصيروهم إلى جهنم.
- **تأمين المصلي:** يؤمن المنفرد اتفاقاً، وأما الإمام فيؤمن سراً عند أبي حنيفة وفي التراجع عند المالكية، لأنه دعاء، وجهرًا عند غيرها.
- **الترغيب في دعاء الله والتضرع إليه، كما في الحديث من النبي ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»** ^(٢).
- الاعتراف بالتعنة.
- طلب حسن القدوة.
- **الترغيب في سلوك سبيل الصالحين، والترهيب من سلوك سبيل الغاوين.**

الأحكام الشرعية هل البسمة آية من القرآن؟

أجمع العلماء على أن البسمة الواردة في سورة التمل هي جزء من آية، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ^(٣) ولكثهم اختلفوا، هل هي آية من الفاتحة؟ ومن أول كل سورة أم لا؟ وهم على أقوال ثلاثة:

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک، عن النعمان بن بشير، كتاب وباب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، حديث رقم: ١٨٠٢، وإسناده صحيح.

(٣) سورة النمل، الآية: ٣٠.

القول الأول: البسمة آية من الفاتحة، ومن كل سورة، وهو مذهب الشافعي رحمه الله.

القول الثاني: ليست آية من الفاتحة، ولا من شيء من سور القرآن، وهو مذهب مالك رحمه الله.

القول الثالث: هي آية تامة من القرآن، أنزلت للفصل بين السور، وليست آية من الفاتحة، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله.

في الأخلاق والآداب

التخلُّق باسم الله الرحمن بآن:

- ✓ يصبح همك الأمة، فيكون نفعك متعدداً تسعى بالخير للجميع، فتتظر إلى كافة الخلق بعين الرحمة، فتقضي حوائج العباد، وتحسن إليهم، سواء أحبوك أم لم يحبوك، شكروك أم شكروا غيرك، وتطعم الطعام، وتساعد على نوائب الدهر المسلم وغير المسلم، فالله تعالى يرزق المؤمنين والكفار على حد سواء، ويعطيهم في الدنيا من واسع فضله مهما كان لون بشرتهم ودينهم ومعتقدهم، وسواء أكانوا أشراراً أم أحياناً. **«خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ»** ^(١).
- ✓ ترحم عباد الله الغافلين، وتسعى في نشر الهداية والدين والطمأنينة والسكينة، والسلام بين الناس أجمعين، فإذا رأيت عاصياً دعوت الله له من قلبك أن يغفر له وأن يتوب عليه، وإذا رأيت مبتلياً بكبيرة أشفقت عليه، وسألت الله تعالى له الهداية، وأن يطهر الله تعالى قلبه من هذا البلاء. **«شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»** ^(٢).
- ✓ تصل الرحم وتحسن الجوار، فتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك.
- ✓ تتقن تربية الأولاد بشدة ولين، بذل وعز كما ربانا القرآن الكريم بمنع مع حب وعطاء.
- ✓ تستقيم: والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو "صراط" أي نهج حياة التبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والمؤمن مطالب بالاستقامة الدائمة، لذلك يسألها ربّه في كل ركعة من صلاته **«اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»** ^(٣)، وعندما يقصر في فعل المأمور واجتناب المحذور ويحيد عن الاستقامة، يستغفر ربّه ويعود **«فَاسْتَغْفِرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا»** ^(٤).
- ✓ تتبرأ من العجب: لأن العجب يؤدي إلى الكبر. فعندما يعجب المرء بنفسه وبعمله وبماله، يرى نفسه كاملاً، خالياً من العيوب. ويرى نفسه بعين الاستعظام، ويحقّر من هم دونّه، فيأتاك أن تُعيب على غيرك إذا لم يكن عنده ما عندك، فيصيبك قوله: **«لَا تُظْهِرِ الشَّهَادَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحِمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَليكَ»** ^(٥). والمعجب بنفسه لا يحقق قوله تعالى: **«وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»** ^(٦) لأنه يعتمد على نفسه ويستعين بها، ويظن أنه لا يحتاج إلى الله بشيء. ويرى أن كل ما عنده كمال ورفعة، لا عطية أو نعمة من الله. فيفرح بذلك زاعماً بأن هذا الخير من صفته ومنسوب إليه، وليس عطاء من الله تعالى. فحذار حذار من العجب، لأن هذا العجب شرك "الأنا" مع الله تعالى.

في السيرة والشّمائل

(١) رواه الشهاب القضاقي في مسنده، عن جابر، مسند: خير الناس أنفعهم للناس، حديث رقم: ١٢٣٤، وهو حسن.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک، عن جابر، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الأنبياء، حديث رقم: ٣٤٤٢، وهو صحيح.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٦.

(٥) رواه الترمذی في سننه، عن واثلة بن الأسقع، كتاب: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ٥٤، حديث رقم: ٢٥٠٦، وهو حسن.

(٦) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

الإشارة: عالم الحق سبحانه وتعالى شدة إرادته أوليائه بحمده وثنائه، وعجزهم عن القيام بحق مدحه على مقتضى عزه وسنائه، فأخبرهم أنه حمد نفسه بما افتتح به خطابه، بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فانتعشوا بعد الدلة، وعاشوا بعد الحمود، واستقلت أسرارهم لكمال التعزز حيث سمعوا ثناء الحق عن الحق بخطاب الحق، فنطقوا ببيان الرمز على قضية الأشكال.

الإشارة: على طريقة من فرق بينهما، فالرحمن خاص الاسم عام المعنى، والرحيم عام الاسم خاص المعنى؛ فلأنه الرحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم، ولأنه الرحيم وفق المؤمنين لما فيه حياة سرائرهم، فالرحمن بما روح، والرحيم بما لوح؛ فالترويح بالمبار، والتلويح بالأنوار؛ والرحمن بكشف تجليته، والرحيم بلطف توليته، والرحمن بما أولى من الإيمان، والرحيم بما أسدى من العرفان، والرحمن بما أعطى من العرفان، والرحيم بما تولى من الغفران، بل الرحمن بما ينعم به من الغفران والرحيم بما يمتن به من الرضوان، بل الرحمن بما يكتم به والرحيم بما ينعم به من الرؤية والعيان، بل الرحمن بما يوفق، والرحيم بما يحقق، والتوفيق للمعاملات، والتحقيق للمواصلات، فالمعاملات للقاصدين، والمواصلات للواجدين، والرحمن بما يصنع لهم، والرحيم بما يدفع عنهم، فالصنع بجميل الرعاية، والدفع بحسن العناية.

الإشارة: ملك قلوب العابدين إحسانه، فطمعوا في عطائه، وملك قلوب الموحدون سلطانه، ففنعوا ببقائه، عرف أرباب التوحيد أنه مالكم فسقط عنهم اختيارهم، علموا أن العبد لا ملك له، ومن لا ملك له لا حكم له، ومن لا حكم له لا اختيار له، فلا لهم عن طاعته إعراض ولا على حكمه اعتراض، ولا في اختياره معارضة، ولا لمخالفته تعرض.

الإشارة: اقطع أسرارنا عن شهود الأغيار، ولوح في قلوبنا طوابع الأنوار، وأفرّد مقصودنا إليك عن دس الآثار، ورقنا عن منازل الطلب والاستدلال إلى مجمع ساحات القرب والوصال.

حل بيننا وبين مساكنة الأمثال والأشكال، بما تلاطفنا به من وجود الوصال، وتكاشفنا به من شهود الجلال والجمال.

أرشدنا إلى الحق لئلا نتكل على وسائط المعاملات، ويوقع على وجه التوحيد غبار الظنون وحسبان الإعلال.

اهدنا الصراط المستقيم أي أزل عنا ظلمات أحوالنا لنستضيء بأنوار قدسك، عن التفتؤ بظلال طلبنا، وارفع عنا ظل جهدنا لنستبصر بأنوار جودك، فنجدك بك.

اهدنا الصراط المستقيم حتى لا يضحبننا قري من نزغات الشيطان ووساوسه، ورفيق من خطرات النفوس وهواجسها، أو يصدنا عن الوصول تعريج في أوطان التقليد، أو يحول بيننا وبين الاستبصار ركون لمعتاد من التلقين، وتسموينا آفة من ظن أو عادة، أو كليل أو ضعف إرادة، أو طمع مال أو استزادة.

ويقال طريق من أفنيهم عنهم، وأقمتهم بك لك، حتى لم يقفوا في الطريق، ولم تصدّهم عنك خفايا المكر.

ويقال صراط من أنعمت عليهم بالقيام بحقوقك دون التعريج على استجلاب حظوظهم.

ويقال صراط من طهرتهم عن آثارهم حتى وصلوا إليك بك.

ويقال صراط من أنعمت عليهم حتى تحرروا من مكائد الشيطان، ومغاليط النفوس، ومخايل الظنون، وحسابات الوصول قبل خمود آثار البشرية.

ويقال صراط من أنعمت عليهم بالنظر والاستعانة بك، والتبرؤ من الحول والقوة، وشهود ما سبق لهم من السعادة في سابق الاختيار، والعلم بتوحيدك فيما تمضييه من المسار والمضار.

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بحفظ الأدب في أوقات الخدمة، واستشعار نعت الهيبة.

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بأن حفظت عليهم آداب الشريعة وأحكامها عند غلبات بَوَادِه الحقائق، حتى لم يخرجوا عن حد العلم، ولم يُخلُّوا بشيء من أحكام الشريعة.

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم حتى لم تطفئ شمسُ معارفهم أنوارَ ورعهم، ولم يُضيّعوا شيئاً من أحكام الشرع.

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بالعبودية عند ظهور سلطان الحقيقة.

الإشارة: المغضوب عليهم الذين صدمتهم هواجس الخذلان، وأدركتهم مصائب الحرمان، وركبتهم سطوة الرد، وغلبتهم بَوَادِه الصدّ والطرد.

ويقال هم الذين لحقهم ذلُّ الهوان، وأصابهم سوءُ الخسران، فشغلوا في الحال باجتلاب الحظوظ، وهو في التحقيق شقاء؛ إذ يحسبون أنهم على شيء، وللحق في شقائهم سرّ.

ويقال هم الذين أنسوا بنفحات التقريب زماناً، ثم أظهر الحق سبحانه في بابهم شائناً؛ بدّلوا بالوصول بعباداً، وطمعوا في القرب فلم يجدوا مراداً، أولئك الذين ضلّ سعيهم وخاب ظنهم.

ويقال غير المغضوب عليهم بنسيان التوفيق، والتعامي عن رؤية التأييد. ولا الضالّين عن شهود سابق الاختيار، وجريان التصارييف والأقدار.

ويقال غير المغضوب عليهم بتضييعهم آداب الخدمة، وتقصيرهم في أداء شروط الطاعة.

ويقال غير المغضوب عليهم هم الذين تقطّعوا في مفاوز الغيبة، وتفرقت بهم الهموم في أودية وجوه الحساب.

في الإعجاز العلمي

في أشراط الساعة

في الأدعية والأذكار

من آداب الدعاء حيث يقدم السائل بين يدي دعائه، حمد الله والثناء عليه وتمجيده، وزادت الستة الصلاة على النبي، ثم يسأل حاجته رجاءً أن يستجاب له.

ومن أعظم أسباب الشفاء المحرّبة، قراءة سورة الفاتحة سبع مرّات على نية الشفاء، ولو قرئت على ماء سبع مرّات ثم شربها المريض كان مفيداً وشافياً. ويعاود ذلك مراراً ويوماً بعد يوم، فهو من أهم أسباب الشفاء بإذن الله.

وكذلك الدعاء التالي: «**أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ**» سبع مرّات.

نسأل الله تعالى التوفيق

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.